جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

المعادل الموضوعي
في روايات جمال الغيطاني١٩٤٥-٢٠١٥م
رؤية "تحليلية نقدية"

إعداد

د/ فاطمة عيسى الأحول

المدرس بقسم الأدب والنقد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية -للبنات- بكفر الشيخ
فرع جامعة الأزهر

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

المعـادل الموضوعي في روايات جمال الغيطاني١٩٤٥-٢٠١٥م
رؤيــة "تحليلية نقديـة"

فاطمـة عيسى الأحـول

قسـم الأدب والنقـد ، كليـة الدراسات الإسلامية والعربيـة للبنـات بكفر الشيـخ ، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : Elahwalfatma@azhar.edu.eg

الملخص :

يتناول هذا البحث قضية مهمة من قضايا النقد الأدبي الحديث، وهي "المعادل الموضوعي " والتى تحدث عنها "ت.س.إليوت" في كتاباته النقدية، وقد تطرقت إليها الباحثة بالدراسة النظرية أولًا: من خلال المفهوم، والأهمية، ومكانته في النقد القديم، ثانيًا: بالدراسة التطبيقية على روايات " جمال الغيطاني" والذي يُعد من أهم كتاب مصر في العصر الحديث وأبرزهم في الفن الروائي، وقد تميزت رواياته بالعديد من الخصائص الفنية التى برزت في رواياته بصورة واضحة ومنها "المعادل الموضوعي "، الذي يعد ظاهرة فنية تتمثل في استخدام الروائي لعناصر مادية أو حسية؛ لتمثيل أو تجسيد أفكار أو عواطف أو مشاعر مجردة، وقد استخدم هذه الظاهرة بشكلٍ مكثفٍ في رواياته، وقد أسهمت في إثرائها، وجعلتها أكثر عمقًا وتأثيرًا، وقد تمثلت أهمية هذا البحث في أنه يتناول موضوعًا مهمًا وجديدًا في النقد الأدبي؛ لأنه يعتمد على تكثيف التجارب الأدبية عبر التلميح والإشارة، وتحديد أنماط المعادل الموضوعي في روايات الغيطاني، وقد اعتمدت الباحثة على المنهج (الفني التحليلي)؛ الذي يقوم على استقراء النصوص وتفسيرها وتحليلها، والوقوف على تقنياتها المتنوعة، وتناول الظاهرة من زواياها وجوانبها المتعددة، كما يساعد في تحليل العمل الأدبي وبيان انعكاس الملامح الفكرية والنفسية للكاتب على ما ينتجه من روايات، فمن خلاله نستطيع الكشف عن سمات الشخصيات وملامحها، وقد أسفر البحث عن عدة نتائج من

أهمها: أنَّ الكاتب استخدم المعادل الموضوعي للهروب من سيطرة أحاسيسه على النص أو قناعًا للتستر على الشخصية الحقيقية للمبدع، أو للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف والمشاعر، أنَّ القيمة الرمزية للمعادل الموضوعي في روايات "جمال الغيطاني" جعلته في مصاف كتاب العصر الحديث في استخدام هذه الأداة الأدبية الفعالة، اتسمت روايات الغيطاني بالرمزية والتمويه في أغلب الأحيان؛ الأمر الذي جعلها مادة غنية للبحث والدراسة في ضوء ما استجد من نظريات حديثة .

الكلمات المفتاحية: المعادل– الموضوعي– الرواية– جمال– الغيطاني– أدوات التشكيل الفني للرواية.

The objective equivalent in Gamal Al-Ghitani's novels 1945-2015 AD A "critical analytical" vision

Fatima Issa Al-Ahwal
Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arab Studies for Girls, Kafr El-Sheikh, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
E-mail: Elahwalfatma@azhar.edu.eg

Abstract :

This research deals with an important issue of modern literary criticism, which is the "objective, symbolic equivalent," which T. S. Eliot talked about in his critical writings. The researcher addressed it with a theoretical study first: through the concept, importance, and its place in ancient criticism. Second: An applied study on the novels of Gamal al-Ghitani, who is considered one of Egypt's most important writers in the modern era and the most prominent in the art of fiction. His novels were distinguished by many artistic characteristics that clearly appeared in his novels, including the "thematic symbolic equivalent," which is an artistic phenomenon represented by The novelist's use of physical or sensory elements; To represent or embody abstract ideas, emotions, or feelings. He used this phenomenon extensively in his novels, and it contributed to enriching them and making them more profound and influential. The importance of this research was that it deals with an important and new topic in literary criticism; Because it depends on intensifying literary experiences through allusion and reference, and identifying patterns of thematic and symbolic equivalent in Al-Ghitani's novels. The researcher relied on the (deductive) approach, which is based on deducing the objective equivalent and its symbolism from the writer's various experiences, as well as the (artistic-analytical) approach. Which is based on extrapolating, interpreting and analyzing texts, identifying their various techniques, and dealing with

the phenomenon from its multiple angles and aspects. It also helps in analyzing the literary work and showing the reflection of the intellectual and psychological features of the writer on the novels he produces. Through it, we can reveal the traits and features of the characters, and the research has resulted in On several results, the most important of which are: that the writer used the objective equivalent to escape from the control of his feelings over the text or as a mask to cover up the true personality of the creator, or to express abstract concepts such as emotions and feelings. The symbolic value of the objective equivalent in the novels of "Gamal al-Ghitani" placed him in the rank s of modern-day writers. In using this powerful literary device, Al-Ghitani's novels were often characterized by symbolism and camouflage; Which made it a rich subject for research and study in light of newer modern theories.

key words: Equivalent - Objective - Novel - Jamal Al-Ghitani -Tools For Artistic Formation Of The Novel .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيـــمِ

المقـــــــدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، نحمد الله – سبحانه وتعالى– أن أنعم علينا بنعمة الإيمان، ونشكره وحده أن هدانا لهذا العمل، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

أمَّا بعـــــــد:

فلقد حظـي البحـث عـن "المعـادل الموضـوعى " باهتمـام واسـع فـي النقـد الأدبـي الحـديث باعتبـاره عنصـرًا فعـالًا فـي النقـد وتحليـل النصـوص الأدبيـة، فالمحاولات الأولى في هذا المضمار غربيّة؛ حيث لم نعثر علي دراسات عربية مستقلة حول هذه الظاهرة النقدية "المعادل الموضوعى" قبل العصر الحديث؛ لأن هذا المصطلح دخل مؤخرًا من خلال النقد الأدبي الغربي.

ويُعد جمال الغيطاني من أهم كُتَّاب مصر في العصر الحديث وأبرزهم في الفن الروائي، وقد تميزت رواياته بالعديد من الخصائص الفنية التى لم تمتد إليها أيادي الباحثين بالدراسة والتنقيب في أغوارها، ومن أهم الخصائص الفنية التى برزت في رواياته بصورة واضحة "المعادل الموضوعي "، الذي يعد ظاهرة فنية تتمثل فـي استخدام الروائـي لعناصـر ماديـة أو حسية؛ لتمثيـل أو تجسيد أفكـار أو عواطـف أو مشـاعر مجـردة، وقـد اسـتخدم هـذه الظـاهرة بشـكلٍ مكثـفٍ فـي رواياته، وقد أسهمت في إثرائها، وجعلها أكثر عمقًا وتأثيرًا.

وكـان من أهم أسباب اختيـاري" **للمعـادل الموضـوعي فـي روايـات جمـال الغيطاني**" **رؤية تحليلية نقدية**" **عنوانًا لبحثي دون غيره** ما يلي:–

** أهميـة هذه الظـاهرة النقديـة وحداثتها، الأمر الذي يدفع الباحثة إلـى الوقوف عليهـا؛ لأنهـا تسـاعد فـي إثراء النص الروائـي، وتسـتخرج الـدلالات الرمزيـة التى تكمن وراء المعنى الظاهر.

** ما حوته روايات الغيطاني من تكثيفات دلالية، وإشارات رمزية، كما أن دراسة المعادل الموضوعي يعد وسيلة قوية لفك شفرات النص الروائي.

** احتواء روايات الغيطاني على المعادل الموضوعي الرمزي في الكثير من الأنماط مثل: الأمكنة والأزمنة والشخصيات، والأحداث...؛ والتي تُبْرِز تميزها وكشف أسرارها.

** يعد هذا البحث جديدًا في بابه، فلم أعثر على دراسة واحدة تناولت المعادل الموضوعي في الروايات عند الغيطاني، ولعلها تكون جديدة في بابها؛ لأن ما عثرت عليه لا يتعدى سوى بعض المقالات القصيرة حول فكرة المعادل الموضوعي في الرواية.

وتتمثل أهمية هذا البحث في أنه:

- يتناول موضوعًا مهمًا وجديدًا في النقد الأدبي.
- كما أن هذا الموضوع قد يسهم في إثراء حقل الدراسات الأدبية؛ لأنه يعتمد على تكثيف التجارب الأدبية عبر التلميح والإشارة.
- تحديد أنماط المعادل الموضوعي في روايات الغيطاني.
- كما أنه يسهم في خلق جوٍ رمزيٍ وشاعريٍ في العمل الأدبي.

المشكلة البحثية:

تكمن مشكلة الدراسة في وجود فجوة بين أهمية المعادل الموضوعي وتوافره بكثرة في روايات جمال الغيطاني، وبين عدم تناوله بالبحث والدراسة، ولعل إشكالية الدراسة تكمن في الأسئلة التالية: ما أنماط المعادل الموضوعي في روايات جمال الغيطاني؟ وما قيمة هذا المعادل للمكان ودلالته في الروايات؟ كيف استخدم الغيطاني شخصياته بوصفها معادلًا موضوعيًا، وما قيمة ذلك في رواياته؟.

أهداف البحث:

١. إبـراز الخصائـص الفنيـة وتميزهـا للمعـادل الموضـوعي الرمـزي فـي روايـات جمال الغيطاني.

٢. الوقـوف علـى الأبعـاد الفنيـة مـن توظيـف المعـادل الموضـوعي فـي الأعمـال الروائية.

الدراسات السابقة:

١. **دراسة بعنوان:** "**رمزية معادل موضوعي استخراج أشكال استبداد في رواية مزرعة الحيوان_جورج أورويل**– إعداد الباحثة/ بداوي أمينة، جامعة يحيى فارس بالمدينة، كلية الأداب واللغات٢٠٢٠/٢٠٢١م.

تناول فيها الباحث أهمية الموضوع، وقسم بحثه إلى مقدمة، وفصلين:

الفصل الأول: بعنوان: الأدب الانجليزي خصوصياته ومضامينه، تناول فيه الباحث الأدب الإنجليزي في القرن التاسع عشر، ومفهوم المعادل الموضوعي ورمزياته... .

الفصل الثاني: تناول فيه الباحث تحليلًا للرواية محل الدراسة، وحاول جاهدًا استخراج المعادل الموضوعي ورمزياته فيها.

وكان من أهم نتائج البحث: أن الأدب الانجليزي مر بمراحل متطورة خاصة في القرن التاسع عشر الذي شمل نهضة أدبية في عهد الملكة إليزابيث، وقد اعتمد الروائي في رسم شخصيات الرواية على طريقة مباشرة تحليلية التى تقوم علي الوصف الخارجي للشخصية.

٢. **دراسة** بعنوان: "المعادل الموضوعي فى شعر دكتور زهران جبر دراسة نقدية تحليلة" د/ محمد أحمد عبدالرحمن، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، المجلد التاسع والثلاثون إصدار ديسيمبر ٢٠٢٠م .

في هذه الدراسة، ناقش الباحث مفهوم المعادل الرمزي، وقدم تعريفًا له، وأكد أهمية المعادل الرمزي في الشعر العربي المعاصر، حيث يُستخدم لتصوير الواقع بشكل غير مباشر، والتعبير عن الأفكار والمشاعر بشكل مكثف.

وقسم الباحث دراسته إلى: تمهيد، وفصلين، تحدث الباحث في التمهيد عن تعريف المعادل الموضوعي، ونبذه عن الشاعر.

- وفي الفصل الأول تحدث عن: المعادل الموضوعي للذات وهمومها.
- وفي الفصل الثاني تحدث عن: المعادل الموضوعي للمجتمع وقضاياهُ.

وقدم الباحث أمثلة على كل نوع من أنواع المعادلات الرمزية في الشعر، وتعد هذه الدراسة إطارًا تطبيقيًا للمعادلات الموضوعية الرمزية في الشعر المعاصر، وقد وضح الباحث من خلال دراسته كيفية استخدام المعادل الموضوعي في التعبير عن الأفكار والمشاعر التى يريد الشاعر إيصالها للمتلقي.

٣. **دراسة بعنوان:**"المعادل الموضوعى في شعرنا العربي بين الإبداع والتقليد" للباحث، حمدي فاروق صالح، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد السادس والعشرون إبريل ٢٠٢١م .

وفيها ناقش الباحث مفهوم المعادل الموضوعي، وقدم تعريفًا له، وأكد على أهمية المعادل الموضوعي في الشعر العربي الحديث، حيث يُستخدم لخلق جو من التوتر والإثارة، وإثارة التفكير النقدي لدى القارئ، وفيه ناقش الباحث العديد من الأمثلة المتنوعة بدءًا من العصر الجاهلى حتى العصر الحديث.

٤. **دراسة بعنوان:** "المعادل الموضوعي في شعر أبى ذؤيب الهذلي رؤية أدبية نقدية" الدكتور محمد صبحي الجمال، مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق .

وقسم الباحث دراسته إلى: المهاد النظرى، عرف فيه المعادل الموضوعي، ثم تطرق إلى نماذج من المعادلات والرموز التى توافرت في ديوان

الشاعر، ثم وضح المعادل الموضوعي في أسطورة الأم ووحيدها، وأبرز أهم الخصائص الفنية والسمات اللفظية في شعر الشاعر.

وكان من أهم نتائج الدراسة أن المعادل الموضوعي هو أسلوب بلاغي مهم في الشعر العربي المعاصر؛ حيث إنه يساعد الشعراء على التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بطريقة فنية وبلاغية.

٥. **دراسة بعنوان:** المعادل الموضوعي والنقد الجديد من منظور رشاد رشدي، رسالة دكتوراه، إعداد زروقي هوارى، سعادي بن ذهبية، جامعة عبدالحميد بن باديس مستغانم.

٦. **دراســة بعنــوان:** توظيف التراث العربي في نماذج من روايات جمال الغيطاني، هنية بنت موسى، طالبة دكتوراه جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي الجزائر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها. مج١٢. ع.٠٣. ٣٠/١١/ ٢٠٢٠م .

٧. **دراســة بعنــوان:** المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي، بقلم كاظم الظواهري، دار الهداية، **الطبعة الأولى.١٤٣١هـ،٢٠٢١م.**

٨. **دراسة بعنوان:** تجليات الرمز في روايات جمال الغيطاني،مريم بلمومن، شيماء المداح ، بحث في جامعة عبدالحميد بن باديس، على الرابط: http://e-biblio.univ-mosta.dz/handle/123456789/22444

٩. **دراسة بعنوان:** عتبات الكتابة وجماليات التناص في أعمال جمال الغيطاني الروائية، هنية بن موسى، دكتوراه سنة ٢٠٢١م، على الرابط: http://dspace.univ-eloued.dz

منهجية البحث:

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج (الاستنباطي) الذي يقوم على استنباط المعادل الموضوعي ورمزيته من تجارب الكاتب المتنوعة، وكذلك المنهج(الفني التحليلي)؛ الذي يقوم على استقراء النصوص وتفسيرها وتحليلها، والوقوف على تقنياتها المتنوعة، وتناول الظاهرة من زواياها وجوانبها المتعددة، كما يساعد في تحليل العمل الأدبي وبيان انعكاس الملامح الفكرية والنفسية

للكاتب على ما ينتجه من روايات، فمن خلاله نستطيع الكشف عن سمات الشخصيات وملامحها، وغير ذلك من المناهج التى تسهم في تجليات السمات الفنية في توظيف المعادل الموضوعي الرمزي.

تقسيم البحث :

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة وأهم التوصيات، والفهارس الفنية.

تناولتُ في المقدمة، سبب اختيار الموضوع، وأهميته ودوافعه، وإشكالية الدراسة، والدراسات السابقة والمنهج المتبع.

جاء **التمهيد بعنوان:** "**التعريف بالكاتب والظاهرة**"

ويشتمل على محورين:

المحور الأول: "أضواء على حياة الغيطاني وأدبه" .

المحور الثاني: نبذة عن "المعادل الموضوعي "

وأعقبه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول:** المعادل الموضوعي للأحداث.
- **المبحث الثاني:** المعادل الموضوعي للشخصيات .
- **المبحث الثالث:** المعادل الموضوعي للزمان.
- **المبحث الرابع:** المعادل الموضوعي للمكان.
- **المبحث الخامس:** المعادل الموضوعي للذات وهمومها.

ثم جاءت الخاتمة موضحة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم ثبت للفهارس الفنية، يحتوى على ثبت المصادر والمراجع ، وثبت محتويات البحث.

هذا والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل

الباحثة

فاطمة عيسى الأحول

التمهيد

ويشتمل على محورين:

المحور الأول: أضواء على حياة الغيطاني وأدبه.

المحور الثاني: نبذة عن المعادل الموضوعي .

المحور الأول
أضواء على حياة الغيطاني وأدبه

**** مولـــــــده ونشأته:**

ولد جمال الغيطاني في ٩ مايو ١٩٤٥م، في قرية جهينة محافظة جرجا (محافظة سوهاج حاليًا). نشأ في القاهرة القديمة، حيث عاشت الأسرة في منطقة الجمالية، وأمضى فيها ثلاثين عاما. تلقى تعليمه في مدرسة عبد الرحمن كتخدا الابتدائية، ومدرسة الجمالية الابتدائية. تلقى تعليمه الإعدادي في مدرسة محمد علي الإعدادية. بعد الشهادة الإعدادية التي حصل عليها عام ١٩٥٩م التحق بمدرسة العباسية الثانوية الفنية التي درس بها ثلاث سنوات فن تصميم السجاد الشرقي وصباغة الألوان.

تخرج عام ١٩٦٢، وعمل في المؤسسة العامة للتعاون الإنتاجي رسامًا للسجاد الشرقي، ومفتشًا على مصانع السجاد الصغيرة في قرى مصر، أتاح له ذلك زيارة معظم أنحاء ومقاطعات مصر في الوجهين القبلي والبحري [(١)].

****اعتقاله.**

في عام ١٩٦٣ استطاع الغيطاني أن يعمل رسامًا في المؤسسة المصرية العامة للتعاون الانتاجي حيث استمر بالعمل مع المؤسسة إلى عام ١٩٦٥، تم اعتقاله في أكتوبر ١٩٦٦ على خلفيات سياسية، وأطلق سراحه في مارس ١٩٦٧، حيث عمل سكرتيرًا للجمعية التعاونية المصرية لصناع وفناني خان الخليلي وذلك إلى عام ١٩٦٩م، وقيل: إن اعتقاله كان بسبب انتمائه لتنظيم شيوعي، وقد قال الغيطاني عن فترة الاعتقال: «حتى عندما لم يكن لدي أوراق وأقلام أدون بها حكاياتي، كنت أكتب في مخيلتي.. فالحكي والقصص لم تفارقني

(١) جمال الغيطاني (روائي مصري)، ميريه جراح، تم التدقيق بواسطة: وائل عبد الغني، تم النشر بتاريخ ٢٤ / أغسطس ٢٠٢٣م، (https://mawdoo3.com/%D8%AC% ، تاريخ الزيارة ٢٠/١٠ /٢٠٢٣م بتصرف.

حتى في أصعب أيام حياتي»[١]، عقب خروجه من المعتقل؛ تبلورت لديه رؤية خاصة تقوم على إعادة النظر في التراث الإبداعي العالمي كله، ليكون مجددًا وليس ناسخًا، واعتقد الغيطاني حينها أن ذروة البلاغة المصرية قد كانت في العهد المملوكي، خلافًا للرؤية الأكاديمية التي تراه عصرَ الانحطاط الأدبي.[٢]

**** خصائص أدب الغيطاني :**

يتميز أدب الغيطاني بالواقعية والتجريبية، حيث يسعى إلى تصوير الواقع الاجتماعي والثقافي المصري بشكل واقعي، كما يلجأ إلى التجريب في الشكل والأسلوب.[٣] ، ويهتم الغيطاني بالتاريخ والتراث المصري؛ حيث تتناول العديد من أعماله أحداثًا وشخصيات تاريخية، كما يسعى إلى إحياء التراث المصري من خلال أعماله الأدبية.[٤] يتميز أدب الغيطاني بأسلوبه الرصين، الذي يجمع بين البساطة والجمال، كما يتميز بقدرته على التعبير عن المشاعر والأفكار العميقة.

**** أهم أعمال الغيطاني.**

•الأعمال الروائية:

"الزينـي بركـات" (١٩٨٤)، "وقـائع حـارة الزعفرانـي" (١٩٩٠)، "ملامـح القـاهرة فـي ألـف سـنة و"شـطح المدينـة" (١٩٩٢)، "رسـالة فـي الصـبابة والوجـد" (١٩٩٤)، "الرفـاعي" (١٩٩٥)، "الزويـل" (١٩٩٦)، "كتـاب التجليـات الأسـفار الثلاثة" (٢٠٠٠)، "رسالة البصائر في المصائر" (٢٠٠٢) .

(١) مقال بعنوان: جمال الغيطاني، موقع المعرفة، https://www.marefa.org/ ، تمت الزيارة بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/٢٠م.

(٢) السابق نفسه.

(٣)الأديب المصري جمال الغيطاني، المجلس الأعلى للثقافة، https://www.marefa.org%/http://scc.gov.eg/prتاريخ الزيارة ٢٠ /١٠/٢٠٢٣م .

(٤) السابق نفسه بتصرف .

●المجموعات القصصية:

"الحكايات" (١٩٧٩)، "الليل" (١٩٨٠)، "الموت" (١٩٨١)، "المدينة" (١٩٨٢)، "المرأة" (١٩٨٣)، "الحب" (١٩٨٤)، "الوطن" (١٩٨٥)، "التاريخ" (١٩٨٦)، "التراث" (١٩٨٧).

●الدراسات الأدبية:

"نجيب محفوظ يتذاكر" (١٩٨٥)، "الأدب الشعبي" (١٩٨٧)، "الكتابة في الشارع" (١٩٩٠)، "جماليات المكان" (١٩٩٢)، "الأدب والتراث" (١٩٩٤).[١]

****مكانته الأدبية.**

يُعد الغيطاني من أهم رواد الرواية والقصة العربية في العصر الحديث، وقد أثَّرَتْ أعماله بشكل كبير على الأدب العربي المعاصر، وقد حصل الغيطاني على العديد من الجوائز الأدبية، منها:

●جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ٢٠٠١.

●جائزة مبارك للإبداع عام ٢٠٠٢.

●جائزة الشيخ زايد للكتاب عام ٢٠٠٣م .

ويُعد الغيطاني من أهم الأدباء المصريين المعاصرين، وقد ترك بصمة واضحة في الأدب العربي، وتتميز أعماله بالواقعية والتجريبية، والاهتمام بالتاريخ والتراث المصريين، والأسلوب المميز[٢].

(١)مؤسسة سلطان بن على العويس للثقافة، **https://www.alowais.com/jmalghetani/** تمت الزيارة بتاريخ ٢٢/١٠/ ٢٠٢٣م .

(٢) توظيف التراث العربي في نماذج من روايات جمال الغيطاني، هنية بنت موسى، طالبة دكتوراه جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي الجزائر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها. مج١٢. ع.٠٣. ٣٠/١١/ ٢٠٢٠م ، ص٨٣ بتصرف.

**** وفاتـــــه .**

توفي الروائي المصري جمال الغيطاني في ١٨ أكتوبر ٢٠١٥ عن عمر ناهز السبعين عامًا في مستشفى الجلاء العسكري في القاهرة، وكان في صراع مع المرض إثر إصابته بوعكة صحية أدخلته غيبوبة لأكثر من ثلاثة أشهر.

وسمي أحد شوارع القاهرة الفاطمية باسمه، وهو شارع متفرع من شارع المعز لدين الله الفاطمي، كما تم إطلاق اسمه على إحدى المدارس بمسقط رأسه في محافظة سوهاج[١].

(١) رحيــل الأديــب المصــري جمــال الغيطــاني، ١٨ أكتــوبر/ تشــرين الأول ٢٠١٥، **https://www.bbc.com/arabic** ، تاريخ الزيارة ٢٢/ ١٠ /٢٠٢٣م .

المحور الثاني
نبذة عن المعادل الموضوعي

****التعريف والنشأة .**

المطالع للمعاجم العربية وفي مقدمتها لسان العرب يجد أن كلمة **(عدل)**: مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنه مُسْتقيم، وَهُوَ ضِدُّ الجَوْر. عَدَل الحاكِمُ فِي الْحُكْمِ يَعْدِلُ عَدْلًا وَهُوَ عادِلٌ مِنْ قَوْمٍ عُدُولٍ وعَدْلٍ؛ الأَخيرة اسْمٌ لِلْجَمْعِ كتَجْرٍ وشَرْبٍ، وعَدَلَ عَلَيْهِ فِي القضيَّة، فَهُوَ عادِلٌ، وبَسَطَ الْوَالِي عَدْلَه ومَعْدِلَته. وَفِي أَسماء الله – سبحانه–: العَدْل، هو الَّذِي لَا يَمِيلُ بِهِ الْهَوَى فيَجورَ فِي الْحُكْمِ، وَهُوَ فِي الأَصل مَصْدَرٌ سُمِّي بِهِ فوُضِعَ مَوْضِعَ العادِلِ، وَهُوَ أَبلغ مِنْهُ لأَنه جُعِلَ المُسَمَّى نفسُه عَدْلًا، وَفُلَانٌ مِنْ أَهل المَعْدِلة أَي مِنْ أَهل العَدْلِ. والعَدْلُ: الحُكْم بِالْحَقِّ، يُقَالُ: هُوَ يَقْضي بِالْحَقِّ ويَعْدِلُ. وَهُوَ حَكَمٌ عَادِلٌ: ذُو مَعْدَلة فِي حُكْمِهِ. والعَدْلُ مِنَ النَّاسِ: المَرْضِيُّ قولُه وحُكْمُه.(١)

" والمتأمل في كلام ابن منظور يجد أن الدلالة اللغوية لكلمة (عدل) هي إنما ضد الظلم والجور، فالعدل هو القسط، والعدل هو التوازن في كل شيء بلا إفراط ولا تفريط أما المعادل فهو لفظ مشتق من عدل على وزن مفاعل والمعادل في اللغة هو الأمر الموضوع في مكانه الصحيح بلا ظلم وجور.

أما كلمة موضوع والتي هي الشق الثاني من المصطلح المعادل الموضوعي فتشير هذه المفردة في دلالاتها اللغوية إلى الاتفاق والائتلاف، قال صاحب اللسان: "والموضِعُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ وَضَعْتُ الشَّيْءَ مِنْ يَدِي وَضْعًا وَمَوْضُوعًا، وَهُوَ مِثْلُ المَعْقُولِ".(٢) والموضوعي نسبة إلى الموضوع، وكأن

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.ج١٠ ،ص١٠٦.

(٢)لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.ج٨،ص٣٩٦.

الأديب حينما يختار معادلًا لتجربته يكون بذلك قد اختار ما يتوافق معها، ويتلاءم مع قضيته التي يتبناها،ويتماشى مع همه الذي يعانيه.

ويختلف المعني الإصطلاحي"للمعادل الموضوعي" عن الجذر اللغوى ففي **الاصطلاح:** يعني "المفهوم النقدي الذي يشير إلى الأداة الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف، ويوفر مصطلح المعادل الموضوعي عنوانًا للطريقة التي يقدم بها الفن مجموعة من التمثيلات التي قد لا تُصرح بالعاطفة فيها، لكن – التمثيلات – تعبر عنها".(١)

ويعد **المعادل الموضوعي** "من أهم المصطلحات النقدية الحديثة، تم تعريفه لأول مرة من قبل الناقد الإنجليزي توماس هارتلي، وقد عرفه بأنه "الصورة الفنية التي تجمع بين عالمين: عالم الحس وعالم المعنى، بحيث ينقل المتلقي من عالم الحس إلى عالم المعنى من خلال إثارة الخيال والإبداع"(٢).

ثم قدمه الشاعر توماس إليوت، أحد أبرز رواد مدرسة النقد الجديد الأنجلو. أمريكية، في نقده عام ١٩١٩ لمسرحية «هاملت» لشكسبير، والتفسير البسيط للمصطلح هو «كيفية تحويل العاطفة إلى فن»، فالأديب يبني فكرته الأساسية في صياغة قصيدته على انفعال وإحساس، ولكي ينقل هذا الإحساس إلى المتلقي، عليه أن يضع الأحداث والمواقف الفنية التي تشكل وعاء له، فتنقله للمتلقي من خلال العمل دون أن يصرح به الأديب بشكل مباشر، وهو أمر ينسجم بشكل كبير مع البناء الروائي والمسرحي على حدٍ سواء"(٣) .

---

(١) المعادل الموضوعي في شعرنا العربي بين الإبداع والتقليد، د/ حمدي فاروق صالح، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد السادس والعشرون، ج٢١، ٢٠٢١م، ص٥ .

(٢) الصورة بين الشعر والتشكيل في فن التصوير (حوار الشكل والمضمون)، د/إيناس ضاحى أحمد، بدون طبعة ٢٠١٦م،ص٢٥٤-٢٥٥بتصرف .

(٣) صحيفة اليوم، مقال بعنوان" المعادل الموضوعى، تم النشر بتاريخ ٢٠١٩/٨/١٨م،على الرابط "https://www.alyaum.com/articles/6206513 ، تمت الزيارة بتاريخ ١٢ /١٠ /٢٠٢٣م بتصرف

ومن ثم يدرك إليوت "أن الكاتب يختزن في عقله كثيرًا من القضايا التي يعيش آلامها، ويتفاعل مع أحداثها، متكئًا على خبراته وثقافته، موظفًا ما يطرأ على ذهنه من آثار ووقائع، "إلا أنه انتخاب عناصره، وتحويل انفعالاته إلى شيء جديد، ذلك أن ذهن الشاعر ليس سوى إناء، يختزن عددًا لا حصر له من الأحاسيس والعبارات والصور، ويستبقها تاركًا إياها كامنة فيه إلى أن تتجمع الجزيئات التي يمكن لها أن تتحد، وتخرج مزيجًا جديدًا، فالشعر حسب إليوت ليس إطلاقا لسراح الانفعال، وإنما هروب من الانفعال، وليس تعبيرًا عن العواطف، وإنما هروب منها إلى تعبير مماثل يعادل التجربة التي يحسها الأديب وتجيش في صدره". (١) ..

وإذا كان المعادل الموضوعي عند بعض الدارسين مفهومًا بسيطًا في جوهره كما هو الشأن عند "رشاد رشدي" الذي يراه "نظرية بسيطة للغاية وهي في الواقع، قانون من قوانين الفن لم يكن لـ ت . س . إليوت فضل ابتكاره بقدر ما كان له فضل اكتشافه وأرجع فضل ابتكاره إلى شكسبير، ولكن رغم بساطة هذه النظرية فقد كان لها أثر فعال في النقد والخلق على السواء.. فكما أنها أصبحت مقياسًا توزن به الأعمال الفنية وتساعدنا على تفهمها كذلك أصبحـــت نبراسًا يهتدي به الكُتَّاب في كتاباتهم "(٢) ..

ويتحدث د/ "**مجدي وهبه**" عن المعادل الموضوعى، قائلًا: كتب الناقد الأمريكى الإنجليزي ت .س.إليوت في مقال بعنوان "هملت" ١٩١٩م "إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في صورة الفن إنما تكون بإيجاد "معادل

(١) المعادل الموضوعي والنقد الجديد من منظور رشاد رشدي، رسالة دكتوراه، إعداد زروقي هوارى، سعادي بن ذهبيه، جامعة عبدالحميد بن باديس مستغانم ،ص١٥.

(٢) فن كتابة المسرحية، رشاد رشدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص١٢١ بتصرف .

موضوعى" أي ما يوظفه المبدع من أحداثه وموضوعاته ومواقفه التى تبعث لدي القارئ الاستجابة العاطفية الملائمة والتأثير بالعمل، دون أن يلجأ إلى التقرير المباشر، وهذا تقريرًا لما جاء به ت .س .إليوت" [١].

والمعادل الموضوعي "مصطلح نقدي يشير إلى الرمز والإيحاء الذي يستخدمه الكاتب والمؤلف في ثنايا كتاباته، ويستخدمه الشعراء؛ "لإبعاد ذواتهم وأحاسيسهم عن العمل الإبداعي"[٢] .

فالنص معادل موضوعي لهموم المبدع، وليس تعبيرًا عن الحقيقة، "فالحقيقة ليست بمتناول أحد وقد كان لاختلال بنية المجتمع وضياع المعايير الضابطة سبب جلي لاغتراب الفرد والسعي نحو الانفصام عن المجتمع جسميًا ومكانيًا، فالمجتمع حقيقة موضوعية تعلو على الأفراد وتسبقهم في الوجود وتفرض عليهم إلزاما معينًا وتحدد أنماطهم، وتصور العلاقات المتبادلة بين الفرد والمجتمع ومدى إسهام كل منهما في الآخر، كما أنها وسيلة للتعبير عن الوجدان؛ إذ يقوم الشاعر بخلق جسم محدد أو موقف أو سلسلة من الأحداث تعادل الوجدان المعين الذي يراد التعبير عنه، حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التى لا بد أن تنتهي إلى خبرة حسية تحقق الوجدان المطلوب إثارته"[٣].

والمتأمل في كتابات إليوت حول المعادل الموضوعي يجد أن جوهر هذا المصطلح، والطريقة الفنية للتعبير عن الانفعال والشعور هي "العثور على معادل

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، د /مجدي وهبه، د/كامل المهندس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤. ص٣٧٠ .

(٢) المعادل الموضوعى في النقد الأنجلو أمريكي، دراسة في المنهج والمفهوم والمرجعيات،أحسن دواس، مجلة الأثر: العدد (٢٦) سبتمبر، ٢٠١٦م ، ص٤٨بتصرف .

(٣) المعادل الموضوعي في شعرنا العربي بين الإبداع والتقليد، د/ حمدي فاروق صالح، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد السادس والعشرون، ج ٢١ ، ٢٠٢١م، ص٦ .

موضوعي في التجربة الإبداعية، أي العثور على مجموعة أشياء غامضة: على موقف، على سلسلة من الأحداث، تكون هي الصيغة الفنية التي توضع فيها تلك العاطفة، فالأديب المتمكن هو القادر على إيجاد ما يعادل تجربته، ويصور ما في داخله من أحاسيس، ويجسد ما في كيانه من مشاعر"(١).

ويمكن القول: **إن المعادل الموضوعي** "كلمة، أو عبارة، أو صورة، أو شخصية، أو اسم مكان، يحتوى في داخله على أكثر من دلالة، يربط بينها محوران رئيسان: يتمثل الأول بالبعد الظاهر للرمز، وهو ما تتلقاه الحواس منه مباشرة، ويتمثل الثاني بالبعد الباطن أو البعد المراد إيصاله من خلال الرمز، وهناك علاقة وطيدة بين ظاهر المعنى وباطنه، وممكن للصورة أن تفقد قيمتها إذا حدث تنافر بين المحورين السابقين"(٢).

فالأديب البارع هو الذي يستطيع أن يوفق بين التعبير عن مشاعره وتوظيف الأشياء المحسوسة في واقعه، فالكاتب الذي يستمد المشاهد من الواقع، ويعبر عن مكنونه من خلال المؤثرات الخارجية هو الكاتب المتميز، الذي لا تطغى مشاعره على الأشياء المجسدة (٣).

(١) ينظرالمعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي/ فوزية علي زوباري، مجلة مجمع اللغة العربية –دمشق، مجلد ٨٧، الجزء الثاني، سنة ٢٠١٢م ص ٤٧٠. والمعادل الموضوعي في شعر الدكتور/ زهران جبر دراسة نقدية تحليلية، إعداد الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، المجلد التاسع والثلاثون، إصدار ديسمبر ٢٠٢٠م. ص٤٠١٥.

(٢) ينظر: بناء الأسلوب في شعر بدوى الجبل، الدكتور/ عصام شرتح، دار آمنه للنشر والتوزيع، عمـــان، ٢٠١٩م، ص١٤٦-١٤٧.

(٣) ينظر: المعادل الموضوعي في شعر الدكتور/ زهران جبر ص٤٠١٦.

والكاتـب يلجـأ إلـى المعـادل الموضـوعي؛ "ليعمـل علـى تخصـيب الـرؤى، وليستطيع أن يمد طرفه إلى غيابات تجربته مما يعطيه القدرة على أن يشق في حقل الفن رؤى شعرية نبتها الرمز وثمرتها تلك المعاني التى ندركها من خلال العمل الإبداعي، فالرمز لا يأتى اعتباطًا أو عشوائيًا، وإنما يأتى مفعلًا حركة النص الداخلية ومعمقًا دلالاته" (١).

ويعد المعادل الموضوعي مقومًا من مقومات الفن وعاملًا رئيسًا في بناء الأعمال الإبداعية، وتتلخص مقومات المعادل الموضوعي فيما يأتى:ـ

** الفكرة الأساسَّية التي بنى عليها مفهوم «المعادل الموضوعي» عند إليوت هي أن العمل الفني خلقٌ ناتجٌ عن تحويل انفعال الشاعر «فالانفعال المستعاد في السكينة هو معادلة دقيقة لأنه ليس انفعالًا ولا تذكرًا... إنه تركيز وشيء جديد ينتج عن التركيز لعدد كبير من التجارب التي لا تبدو للشخص العملي الفعال تجارب على الإطلاق»(٢).

** مشاعر الكاتب هي قبل كل شيء، المعين الأساسي وصوره، "فالأدب الرفيع يصاغ من المشاعر وحدها...وفكر الأديب حيز يلتقط ويخزن مالا يحصر من المشاعر والعبارات والصور التي تبقى هناك إلى أن تلتقي معًا جميع العناصر التي يمكن أن تتفاعل لتكون مركبًا شعريًا جديدًا"(٣).

** إن الانفعال في الفن يتعلق بالعمل الإبداعي لا بالأديب،«فهو انفعال لا يوصف بالمصطلحات العقلية والرمزية، وإنما يترجم إلى موقف أو عمل ملموس يثير استجابة انفعالية والفنان الحق هو الذي يعبر عن شخصيته في

(١) بناء الأسلوب في شعر بدوي الجبل، ص١٥٠.بتصرف.

(٢) ينظرالمعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي/ فوزية علي زوباري، ص٤٧٩ .

(٣) السابق نفسه، بتصرف.

القصيدة تعبيرًا غير مباشر، ومهمة الشاعر تكون في خلق شيء موضوعي جديد يكون بديلًا من المشاعر، وناتجًا عن تركيز تجاربه» [١].

**** لماذا يلجأ الأديب إلى المعادل الموضوعي؟**

لقد وظف العديد من شعراء العربية على مر العصور المعادل الموضوعي في أشعارهم للتعبير عن قضايا سياسية أو اجتماعية أو إنسانية لا يستطيع الشاعر التصريح بها إلا من خلال أقنعة الرمز والمعادل الموضوعي، فالقناع هو الذي يتحدث عن طريقه الكاتب عن نفسه، متجردًا من ذاتيته، أي أنه يعمد إلى خلق وجود مستقل عن ذاته، وبذلك يبتعد عن حدود الغنائية والرومانسية[٢].

كما أن المعادل الموضوعي يتمثل في دلالتين ظاهرة وباطنة، تتضافران معًا في عملية الإيحاء؛ " لأن الأشياء الواقعية والأفعال التى تجري في الواقع، مهما كانت سطحية وعادية، تنطوي في صميمها على جانب خيالي معجب يجعلها تبدو كما في الحلم، والذي يتحكم في المعادل الموضوعي طبيعة السياق، والرؤية الإبداعية التى يشكلها الأديب في عمله الإبداعى إذ إن فنية الأداء الجيد تشبه خطًا معتمًا لا نتبينه ببساطة متناهية، وإنما نستكشفه من خلال مرورنا البصري والفكـــرى على منحنيات السياق" [٣].

وقد استخدم الكاتب المعادل الموضوعي للهروب من سيطرة أحاسيسه على النص أو قناعًا للتستر على الشخصية الحقيقية للمبدع، أو للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف والمشاعر.

ومن هنا يتضح أن ظاهرة المعادل الموضوعي في الدراسات الحديثة تصب محور اهتمامها على الإبداع الفني للأديب؛ إذ إن الشاعر "يختزن في عقله كل ما يسترعي انتباهه من خبرات عادية، إلى أن تأتي اللحظة التي تتداخل فيها هذه الخبرات المتباينة، ويتكون منها عمل أدبي متكامل، ومن ثم فإن خبرات

(١) المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي/ فوزية علي زوباري، ص٤٨٠ بتصرف.
(٢) المعادل الموضوعي بين التقليد والإبداع، ص٨ .
(٣) بناء الأسلوب في شعر بدوي الجبل، ص١٥١-١٥٢، بتصرف.

الشاعر –كبرت أم صغرت– ليست مهمة في حد ذاتها، وإنما المهم هو قدرة الشاعر على إتاحة الفرصة لهذه الخبرات؛ كي تتفاعل في عقله على نحو يبدع فيه تركيب جديد، ولا يتأتى هذا الأمر إلا لشاعر ذي قدرة على التفاعل مع الكون والمحسوسات؛ حيث تنصهر خبراته ومشاهداته؛ لتخرج تجربة معبرة عن مكنون نفسه، وخفايا وجدانه".(١).

****المعادل الموضوعي بين القديم والحديث .**

على الرغم من أن مصطلح المعادل الموضوعي هو مصطلح حديث، إلا أن استخدام هذا الأسلوب النقدي موجود في الشعر العربي القديم، حيث استخدمه الشعراء العرب؛ لتصوير أفكارهم ومشاعرهم بطريقة فنية وبلاغية. ومن أمثلة استخدام المعادل الموضوعي في الشعر العربي القديم ما يلي:

استخدام **البحر** بوصفه معادلًا موضوعيًا رمزيًا؛ للدلالة على الحب تارة، وعلى العطاء تارة، وعلى الغرق تارة، واستخدام الليل بوصفه معادلًا موضوعيًا رمزيًا؛ للدلالة على الحزن والألم، واستخدام الماء رمزًا من رموز الطبيعة بوصفه معادلًا موضوعيًا؛ للدلالة على الحياة، واستخدام رمز الورد بوصفه معادلًا موضوعيًا؛ للدلالة على الجمال في شعر الغزل (٢).

وليس أدل على ذلك في الشعر القديم من معلقة لبيد بن ربيعة، الذي انصرف فيها لتصوير ناقته يشبهها بالحمار الوحشي شديد الغيرة، ودفاعه عن أتانه التي حملت منه، واستماته في ذلك على ما يناله من بقية العري من العض والضرب والكدم يقول :

أو مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأَحْقَبَ لاحَهُ ... طَرْدُ الفُحول وَضَرْبُهَا وَكِدَامُهَا
يَعْلُو بها حُدْبُ الإكامِ مُسَحّجٌ ... قَد رَابَهُ عِصْيَانُهَا وَوِحَامُهَا
[بأجِزَّةِ] الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَهَا ... قَفْر المَرَاقِبِ خَوْفُهَا آرامُهَا

(١) المعادل الموضوعي بين التقليد والإبداع، ص٨ .

(٢) مقال بعنون: الرمز، من المعادل الموضوعي إلى الذاتي ،عبر الرابط التالي : https://www.geiroon.net/2018/05/04/% تاريخ الزيارة ١٨ /١٠ /٢٠٢٣م .

حتى إذا سَلَخَا جُمَادَى ستَّةً ... جَزءاً فطالَ صِيامُهُ وَصِيَامُهَا
رَجَعَا بأمرهما إلى ذي مِرَّةٍ ... حَصِدٍ، وَنُجْحُ صَريمةٍ إبْرَامُهَا
وِرَمَى دوابِرَهَا السَّفَا وَتَهَيَّجَتْ ... ريحُ المصايِفِ سَوْمُهَا وسِهامُهَا
فتنازعا سَبِطاً يَطيرُ ظِلالُهُ ... كدخانِ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرَامُهَا
مَشْمُولةٍ غُلِثَتْ بنابتِ عرْفَجٍ ... كَدُخَانِ نارٍ سَاطِعٍ أسْنَامُها
فمضى وَقَدَّمَهَا وكانتْ عادةً ... منه إذا هِيَ عَرَّدَتْ إقدامُها[1]

فالشاعر يشبه ناقته في سرعتها الفائقة، بأتان حملت تولبًا لفحل شديد الغيرة عليها، وقد اشتد هزاله لما ناله من طرد الفحول وضربها، فهو يسوق أتانه سوقًا عنيفًا، ويبعدها عن الفحول، يرتقي بها الأكام مستريبًا من عصيانها له، وهو في ذلك حذر لا يأمن كمون الصيادين، وقد أقاما بالتلبوث ستة أشهر حتى مر عليهما الشتاء، يستغنيان بالرطب عن الماء، وقد أضر الشوك بحوافرهما، وإذ تهتاج الرياح الحارة تؤذن بالصيف تزداد حاجتهما إلى الماء، فيطلبانه ويتطاير الغبار من بينهما، كدخان كثيف مظلم لنار تتقد، وقد مضيا نحو الماء وقدمها لئلا تتأخر فشقا طريقهما إلى عين كثيرة الماء يحفها النبت والقصب ما بني مصرّع وقائم [2] ...

فجاءت الأتان الحامل، رمزًا للحياة والخصوبة والنماء، ثم إننا أمام علاقة حية بين الأتان وفحلها يمثلان قصة الصراع من أجل الحياة، ومن أجل بقاء النوع، ويستنفدان طاقتهما وجهدهما في تحقيق وجودهما وتقاوم إرادتهما الحية كل

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر (المتوفى: ٤١هـ): حمدو طمّا: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م. ص١١٠.

(٢) الشعر الجاهلى وفكرة المعادل الموضوعي، النسق وشعرية التجلي في تجربة النابغة الذبياني، مولاي لخضر بشير، جامعة غرداية، ٢٠١٩م ص ٧٦١. وينظر في المعادل الموضوعي للناقة : المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي، بقلم د/ كاظم الظواهري، دار الهداية، الطبعة الأولى.١٤٣١هـ،٢٠٢١م. ص٥٠ وما بعدها .

ما يعترض طريقهما من صعاب وعقاب، ثم يظفران في النهاية بالحياة بعد أن ينتصرا على كل ما تتحداهما به الطبيعة، ولأجل ذلك له فإن للمشهد دلالته العميقة التي تتجاوز كونه مجرد استطراد في التشبيه للكشف عن سرعة الناقة، من خلال وصف خارجي يستدعي صورة من حياة البادية؛ ليتصل بقوة بأجواء القصيدة ومنطقها العام ورؤية الشاعر للكون والحياة من حيث قيامها على الصراع وبحيث يتجلى انتصار الإنسان وإرادته مبدأ وضرورة في الوقت نفسه، وإلا كان فريسة للتلاشي والضياع والفناء(١) .

**** استخدام المعادل الموضوعي في الأدب العربي الحديث :**

كما تزايد استخدام المعادل الموضوعي في الشعر العربي الحديث، حيث استخدمه الشعراء العرب المعاصرون؛ لتصوير أفكارهم ومشاعرهم بطريقة أكثر إبداعًا وإثارة، ومن أمثلة استخدام المعادل الموضوعي في الشعر العربي الحديث ما يلي:

استخدام رمز الحلم للدلالة على الأمل في شعر بدر شاكر السياب، واستخدام رمز النار للدلالة على الثورة في شعر نزار قباني، واستخدام رمز البحر للدلالة على الوطن في شعر محمود درويش(٢)..

"وقد تغلغل الرمز في ذهنية الإبداع حتى إنه يصعب علينا أن نجد حيوانًا أو نباتًا أو مكانًا إلا اكتسب دلالة رمزية إضافة إلى دلالته المعجمية؛ فالأرنب رمزٌ للضعف مثلما العصفور الدوري رمزٌ لليقظة: والحنظل رمزٌ للمرارة، مثلما مكة المكرمة رمزٌ للطهارة والنقاء، وقبيلة عذرة رمزٌ للعفة"(٣) .

---

(١) السابق نفسه .

(٢) ينظر المعادل الموضوعي بين التقليد والإبداع ص٣٣ وما بعدها .

(٣) مقال بعنون: **الرمز، من المعادل الموضوعي إلى الذاتي،عبر الرابط التالي: https://www.geiroon.net/2018/ تاريخ الزيارة ١٨ /١٠ /٢٠٢٣م .**

غير أن هذه النمطية ما لبثت أن تكسرت، حينما دخل الرمز في دائرة النسبية، فالبحر رمزٌ للعطاء ما دام هادئًا، لكنه ينقلب إلى رمزٍ للغدر، عندما يقلب لراكبه ظهر المجنِّ، وهكذا فقد اكتسب البحر الرمز ونقيضه[١] .

وقد اتّخَذَ الرمز في المعادل الموضوعى طريقًا تحكمه التجربة، وقد دفع الغيطاني لاستخدام هذا المصطلح في رواياته، الرغبة في إنشاء صور فنية قوية ومؤثرة: من خلال ربط العناصر الواقعية بالمشاعر أو الأفكار المجردة، والكاتب لا يلجأ إلى هذه النظرية الأسلوبية إلا من خلال دوافع تدفعه إليه منها: **السياسي، والاجتماعي، النفسي** .....وغيرها .

(١)مقال بعنون: **الرمز، من المعادل الموضوعي إلى الذاتي،عبر الرابط التالي: https://www.geiroon.net/2018/ تاريخ الزيارة ١٨ /١٠ /٢٠٢٣م.**

المبحث الأول:
المعادل الموضوعي للأحداث
في روايــات الغيطانــي

المبحث الأول:

المعادل الموضوعي للأحداث

لا ريب في أنّ القيمة الرمزية للمعادل الموضوعي في روايات "جمال الغيطاني" تجعله في مصاف كُتَّاب العصر الحديث في استخدام هذه الأداة الأدبية الفعالة، فكانت تعبيرًا عمّا تأصَّل بوجدانه، وما جال بخاطره، وما فرضَه عليه ضميرُه، وما ارتأته قناعاته، وقد تميز في معظم رواياته بتكثيف معانيه من خلال استخدامه لهذا الأسلوب الفنى الذي أثرى به الأدب العربي في وقتٍ مرّت به الأمة العربية بأحداث تاريخية عظيمة –بصفة عامة– ومصر –بصفة خاصة–، متمثلةً في نكسة ١٩٦٧م، وحرب أكتوبر ٧٣، فاستحوذت هذه الأحداث –التي تركت في وجدان الغيطاني بالغَ الأثر– وأثرت على نتاجه الروائي الذي كان انعكاسًا لما اعتراه من شجون وآمال نتيجة لهذا الواقع السياسي والاجتماعي المضطرب.

ونلحظ في روايات الغيطاني استخدامه للمعادل الموضوعي في كثير من الأحداث،

** ففي روايته "**وقائع حارة الزعفراني**" نلمس أنَّ الحدث الخطير الذى يزعزع الوجود الهش الضعيف لسكان حارة الزعفرانى غريب ومقلق للغاية؛ حيث يجعل الكاتب من حارة الزعفرانى "مكانًا دالًا على انتشار الفساد الذى يصل إلى الرشاوى والمحسوبيات والعلاقات المحرمة والبغاء واللواط وغيرها من الآفات حتى تقع اللعنة، ويصبح سكان الحارة فى قبضة "شيخ" يمتلك قدرات خارقة فيقضى على ذكورتهم ويصيبهم بالعجز بل يمسخ المتمردين عليه، وتقع الحارة قريبًا من مسجد الحسين مما يصنع مفارقة بين هذا الفساد بأشكاله المختلفة والجو الروحى الذى يوحى به هذا المسجد العريق، وتأتى عمومية المكان من تباين سكانه سواء على المستوى الطبقى مابين الطبقة الثرية والمتوسطة والمعدمة لكنهم يشتركون – فحسب– فى هذا التكالب المادى الذى يشمل الشخصيات واسعة الثراء مثل

"حسين الحارونى" الذى يمتلك مخزنًا واسعا تحت الأرض يحوى كمًا هائلًا من الأثاث والجواهر والعملات النادرة والأثريات، وشخصيات الطبقة المتوسطة التى تشمل "الداطورى" صاحب المقهى و"عاطف" الجامعى و"نبيلة" المدرسة، أما الطبقة المطحونة فيمثلها "عيسى" الفران القادم من الصعيد والذى لايملك إلا قوة عمله وقوته البدنية التى مكنته من العمل خبازًا وبائع ذرة وحمالًا وخادمًا فى مطعم، ويظل أغرب ما قام به وأكثره شذوذا هو "بيع متعة"، على أن الأكثر شذوذًا وفسادًا أخلاقيًا هو ما قام به "سيد أفندى التكرلى" الموظف بمؤسسة الأمانات العامة والذى يدخل "الحارة ومعه أفندية يرتدون نظارات طبية وزراير مذهبة فى أطراف قمصانهم وأحذية غير متسخة "[(١)].

يقول على سبيل المثال: "**يعمل سيد أفندي التكرلي موظفًا بمؤسسة الأمانات العامة، يدخل الحارة ومعه أفندية، يرتدون نظارات طبية، وزراير مذهبة في أطراف قمصانهم وأحذية غير متسخة، بعضهم يمسك حقائب سوداء أنيقة، عدد من أهالى الزعفراني يقولون: إن ثمن الحقيبة الواحدة عشرون جنيهًا. تثور تساؤلات عديدة حولهم، هل هم أقاربه؟ أو معارفه من ذوي النفوذ؟ بعضهم يشغل وظائف هامة في الوزارات والمصالح ذات الصفة الخاصة، علاقاته بهم سهلت الكثير من أمور الأهالي، لم يتأخر عندما لجأت إليه الست وجيدة تطلب الوساطة لخدمة ابنها أسامة الذي أنهي المرحلة الابتدائية وإدخاله أحد مراكز التدريب المهنى ليقضي فترة بسيطة يتخرج بعدها متقنًا لصناعة أو حرفة مما يوفر على عائلته مصاريف طائلة، ويساعدهم في مواجهة أعباء الحياة، وعندما تنفجر البالوعة يقوم بالاتصال الفورى ويجيء**

(١) موقع ثقافة مقال بعنوان" العجز الجنسي.. وباء حارة الزعفران"، بقلم محمد السيد إسماعيل، تاريخ النشر ١٨أغسطس، ٢٠٢٠م، تاريخ الزيارة ٣/ ١١/ ٢٠٢٣م، https://aswatonline.com/2020/08/18/

إثره عدد كبير من العمال؛ ليزيلوا جميع الآثار القذرة وتنظيف الحارة تمامًا..."[١] .

وتتطور الأحداث بفعل إجراءات يفرضها الشيخ على حارة الزعفراني حتى تزول اللعنة (الطلسم)، ويُفاجئهم أنه صاحب الطلسم وصانعه، فلا فرار منه إلا إليه، ولا حاكم لأمرهم إلا هو، يبدأ عدد منهم في التمرد، فلا يكون للعاصي إلا الهلاك البطيء، كأن يُسخَط حجرًا أو حيوانًا، فيتلذذ الغيطاني برسم رعب هادئ غير معقول، وكأنه وجد ثغرة؛ لينفذ سهمه منها، وليُطبِّق أفكاره الخاصة على شخصياته، ليلوي أذرعتهم ويجبرهم أن يسمعوا، يُشعِرك أنهم لو أغلقوا آذانهم وصبّوا بها إسمنتًا، سيُخلق لهم آذانٌ يسمعون بها ويعقلون .

كما أننا نلحظ «تناوله الساخر لسريان الأمر في الصحف المحلية والعالمية، وكتابته لنصوص تقارير الأجهزة البيروقراطية لتعرف فكرته عن «كيف تُدار الأمور أثناء الأزمات الحقيقية»؟ من خلال طريقته في الرواية، ويُبرز تحييده الكامل لكل أدوار المؤسسات المسئولة عن حضور الدولة في الواقع المُعاش للحارة، لتكتفي هذه الأجهزة بالرصد والتحليل دون اقتراب خوفًا من الطلسم».[٢] .

وقد اتخذ الكاتب من هذه الأحداث معادلًا موضوعيًا؛ يحمل أبعادًا رمزية دالة على الوطن في هذه المرحلة التاريخية؛ ليصبح تاريخ سكان حارة الزعفراني

---

(١) رواية وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، ص٩ .

(٢) مقال بعنوان: رواية «وقائع حارة الزعفراني»– هذا زمن الفرار !جمال الغيطاني، يوسف السيد الديب، نشر بتاريخ ٢٧ / ١٠/ ٢٠٢١م، تاريخ الزيارة ٥ /٢٠٢٣/١١م، عبر الرابط التالي: **https://www.ida2at.com/the-zafarani-files-novel-review/** بتصرف .

اختصارًا لتاريخ البشرية كلها، فنحن إذن فى مجتمع بلغ فيه الفساد ذروته وكان لا بد أن تحل اللعنة التى تمثلت فى ذلك العجز الذى أصاب رجال الحارة، فالكاتب لم يستطع أن يصرح بأحوال مصر في هذه الفترة من التخلف والفساد وعدم التدين، فلجأ إلى استخدام المعادل الموضوعي الرمزي واختار حارة الزعفراني مسرحًا للأحداث؛ ليستطيع من خلالها تفريغ الشحنات العاطفية وتجربته الذاتية دون أدنى مسئولية عليه فهذه "العواطف الروحية والذاتية التي اختلجت في نفس الكاتب، والأفكار المتصارعة التي نخرَتْ عقله، وهزّت وجدانَهُ الإنسانيَّ، طفَتْ إشاراتُها على سطح النص، بعد أن تململتْ هواجسُها المكنونةُ في عمق النفس، لتتكشفَ مراياها ساطعةً من خلال المعادل الموضوعي الذي جزم "إليوت" على نعته بأنّه "الطريقةَ الوحيدة للتعبير عن العواطف بشكل فنيٍّ تكمن في إيجادِ معادل موضوعي لها"؛ وعليه فإن العاطفة هاهنا أُسْتثِيرتْ مباشرة، فورَ أن أُعطِيتْ هذه الحقائقَ الخارجية على حد قول "إليوت"، والتي جسّدتها الكينونة الإبداعية" (١) ."

ولعلنا لو تأملنا توظيف العجائبية التى استخدمها الغيطاني في حديثه عن المسخ والتحويل، لوجدنا أنها أيضًا معادلًا موضوعيًا رمزيً لهذا الجبروت السياسي آنذاك، وأ الفرد كان لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه، ولعل الكاتب هنا يركز على مدّة النكسة وما حدث فيها من صراع نفسي وانتقاد للسلطة الحاكمة في هذه المدة.

** وفي رواية "**شطح المدينة**" تدور الأحداث حول مسافر يقوم برحلة لمدينة مجهولة لأول مرة، من أجل حضور مؤتمر، لكن شيئًا ما غريبًا فيها يثير

(١) مجلة فكر الثقافية، مقال بعنوان: المعادل الموضوعي في نصّ أبي فراس الحموي، د. نبيل قصاب باشي، نشر بتاريخ ٢/١/ ٢٠٢٣م، تاريخ الزيارة ٢/١١/٢٠٢٣م عبر الرابط التالي: https://www.fikrmag.com/article

هواجسه وقلقه، فتبدأ قصته مع هذه المدينة، حيث "يتابع القارئ الوصف المبدع للمدينة وتفاصيلها، بصورة تخلق لدى القارئ مشاهد بصرية خلاقة وجاذبة، وتتابع الأحداث، ويتخذ الوصف طابعًا أسطوريًا غرائبيًا رمزيًا، فشوارع المدينة تضيق وتتسع في آن واحد، وتتغير ملامح المباني بين زيارة وأخرى، وحتى البشر الذين يتجولون في أنحائها، يظهرون ويختفون بطريقة غريبة"[١] ."

يقول على سبيل المثال: "**بعض الجامعيين يضمرون ضيقًا شديدًا متوارثًا، فلولا مهندسو الجامعة لما انفردت المدينة بهذه الأعجوبة الهندسية، لكن الأهم.. أن البرج لم يكن رمزًا للمدينة حتى منتصف القرن الثامن عشر، فالمدينة جامعية، وأهم ما تضمه الكليات والمعاهد العلمية، كان شعار المدينة نفس ما يراه الناس في الدائرة الذهبية التى تتوسط غطاء رأس أقدم أساتذة الجامعة... ثم ضم البرج إلى المنشآت التى ترعاها البلدية، ودبر حملة دعائية بحيث أصبح من معالم البلاد، ومقصد الأجانب، وزاده غرابة ما يروى عنه من أحداث جرت فيه أو حوله، أو معتقدات قديمة... فمما ارتبط به من معتقدات شاعت واستقرت، أن العاقر إذا خطت عتبته سبع مرات قبل شروق الشمس فإنها تنجب... ومن يشكو ألمًا في الدماغ يلف خيطًا أحمر، ومن يشعر بآلام المعدة يلف خيطًا أبيض حول أحد المسامير البارزة...عندئذ ينفك المعقود، وتتضح المسائل المغلقة هذا كله وغيره شائع منتشر بين القوم**" [٢] ."

من هنا ندرك أن المدينة بكل ما فيها ليست سوى معادل موضوعي يرمز به الكاتب للواقع الداخليِ المحتشد بالذكريات المختلطة، والمشاعر المضطربة،

---

(١) مجلة الخليج، مقال بعنوان: «**شطح المدينة**»...**حياة الزاهد**،علاء الدين محمود، نشر بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠٢١م، تاريخ الزيارة ٢/١١/٢٠٢٣م عبر الرابط التالي: https://www.alkhaleej.ae/2021-04-1

(٢) رواية شطح المدينة، جمال الغيطاني، دار الشروق، ١٤١٢هـ_ ١٩٩٢م .ص٧٠-٧١.

والهوية الممزقة بين أجزائها ومكوناتها، وذلك الاضطراب الذي ذكره الكاتب في وصف المدينة، من البداية العادية إلى النهاية الغرائبية، يرمز إلى المشاعر المتناقضة لبطل القصة منذ دخوله للمدينة حيث كان يشعر بالخوف، والقلق، والحيرة، والغربة بعيدًا عن موطنه، وفي ذلك تفريغ لشحنات الكاتب العاطفية بطريقة أكثر عمقًا وتأثيرًا.

وفي روايته "**حكايات الخبيئة**" يفشي الكاتب سر الخبيئة ويكشف عن التناقضات التي تتصارع في أعماق البطالة، حيث يتشابك الواقع والوهم، وتتداخل الرؤى لدرجة انعدام الرؤية عند البعض، ويستطيع الغيطاني بمهارته الفنية أن ينفذ إلى أعماق شخصياته كي ينبش عما هو متجذر في أعماق الذات، كما يفصح عن بعض الأفعال المنبوذة عبر الزمن؛ مما يشكل إدانة لمرحلة زمنية معينة فعندما يقول:" **كل شيء ممكن هنا، وكل شيء غير ممكن...ليس أسهل من الإحاطة بالأحوال المؤسسية، وما أعسر أيضًا، يتوقف الأمر على الساعي، على صاحب القصد ومضمر النية، مجرد الانتماء إليها باعث على الثقة وإظهار الخيلاء...يكفي أن يقدم الإنسان نفسه باعتباره منتميًا إلى جهة ما تتبعها حتى تتغير النظرة إليه على الفور، خاصة في المواقف الحساسة أو ذات الصلة، مثل أماكن التدوين...واستخراج شهادات الميلاد...وغيرها**"(١).

فاتخذ الكاتب من هذه الأحداث معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى المحسوبية واستغلال النفوذ في تحقيق المصالح الشخصية، فالطبقة الارستقراطية تستطيع أن تصل إلى مبتغاها بأيسر الطرق، أما الطبقات الأخرى فلم تستطع الحصول على حقوقها إلا بعد معاناة وضيق ومشقة، وربما لا تستطيع الحصول عليها أصلًا إلا بعد أن تأتى بالواسطة والمحسوبية.

(١) رواية حكايات الخبيئة، جمال الغيطاني، دار الشروق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص٥.

فاستطاع الكاتب من خلال هذا المعادل الموضوعي الرمزي للأحداث أن يوضح الواقع المؤلم الذي عاشته مصر في فترة زمنية معينة، سيما وأنه عبر عما يجيش في صدره من ضيق وضجر من هذه الأحداث التى ترفع من شأن طبقة، وتحط من شأن أخرى بأسلوب أكثر عمقًا وتأثيرًا في نفس القارئ والسامع.

وفي روايته "**الرفاعي**" استخدم من تلاحم الأصدقاء، وارتباطهم، ودفاعهم عن وطنهم بحماس وصدق، واشتباكهم مع العدو في جرأة وبسالة معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى الحب والدعم والتضامن، فعلاقتهم تمثل القوى التي تساعد الإنسان على النجاة والوصول إلى أهدافه، فنراه يصور الترابط والحب والتفاؤل والشعور المتبادل بين الرفاعي وأصدقائه، حين التحامهم في إحدى الحروب فيقول" **اليوم يختلف الأمر عن خروجهم في المرات السابقة، إنهم الآن جزء من كل لا يلتفت إلى من معه لكنه يدرك الانطباعات، حدة العقيد علاء التى توحي بأنه سيشترك فورًا.... أبو الفضل وملامحه التى تعكس إحساسًا بالانتظار، مصطفى المتأهب دائمًا لتلقي الأمر، أبو الحسن وشبح ابتسامة دائمة قد تظهر في أي لحظة، إن الرفاعي يرى تلك الروابط الخفية، تشد كلا منهم إلى الآخر، قبل العبور لملاقاة الحرب يصبح كل منهم أكثر إحساسًا بالآخر أي كلمة تقال تلقى موضعًا وثيرًا في آذانهم.... أثناء الانطلاق تتعانق أذرع غير ممتدة ، وتتماس خطوط البصر المستقيمة، بعد قليل سيواجه كل منهم الموت، والموت يحوم فوق الجماعة.... كل ذلك يحصنهم من اللحظة المؤجلة..**" [١].

فصور الغيطاني بدقته وبراعته تلاحم هؤلاء الأصدقاء، حتى في أشد المواقف صعوبة، فهم متلاحمون تجمعهم علاقة قوية، علاقة تجعلهم لا يهابون

(١) رواية الرفاعي، ص٣٦٨-٣٦٩.

الموت، فهم متحابون فيما بينهم، مترابطون جسديًا ومعنويًا، مترابطون برابط خفى قوى، لا يدركه إلا من يقترب منهم، وتقوى هذه العلاقة فيما بينهم وتشتد، عند القتال وملاقاة العدو، فيكون كل واحد منهما أكثر إحساسًا بالآخر، عند الخطر يتعانقون، ولا يتفارقون، عيون كل منهما تحتضن الآخر، آذان كل منهما مصغية للآخر .

فاستخدم الشاعر المعادل الموضوعي؛ ليرمز إلى مدى الحب والترابط فيما بينهم، ويؤكد على أن ترابطهم وقوتهم أدى بهم إلى النصر العظيم، فجاء تلاحم بعض قوى الجيش؛ لتحريك الحياة السياسية في مصر، وبث روح الحماس في نفوس الشعب.

وفي روايته "**هاتف المغيب**" تبدأ الأحداث عندما يهز الهاتف الباطني أركان ووجدان " أحمد بن عبدالله" (بطل الرواية) داعيًا وموجهًا له نحو الرحيل، حين يبزغ في وجدانه ويشرق في عقله هذا الأمر الكوني، لا يدري ما يفعل سوى أن يطيع الأمر صاغرًا ويبدأ رحلته العجيبة الغريبة المليئة بالمفاجآت والأفكار والمشاهد والرؤى والحس الموغل في التخييل والذي يضع هذه الرواية في قلب الأعمال الإبداعية العربية المتميزة التي تبحث عن "البصرى" وتستوعب "السمعي وتستغرق كثيرًا في الشمي واللمسي والتذوقي وتخرج من كل ذلك لتقيم وتضع رحالها في قلب أرض المتخيل الاستيهامى الغرائبي"[(١)].

بدأت رحلة "البطل" نحو الغرب فجرًا، في وقت يرتبط ببزوغ اللحظة التي يتبين فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وقد ارتبط الفجر في ذهن وذكريات "أحمد بن عبدالله" بالموت والحياة... بموت أبيه وأمه وخاله وعمته وأيضا بميلاد

(١) مقال بعنوان: جغرافيا الوهم وتاريخ المكان قراءة في رواية هاتف المغيب لجمال الغيطاني، بقلم/ شاكر عبدالحميد: أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة. مجلة نزوي،العدد (٢) https://www.nizwa.com تمت الزيارة بتاريخ ٦/ ١١/٢٠٢٣م.

الكثير من معارفه... ارتبط الفجر في فكره ووجدانه بالحرب و" طلب العلم، ومطالعة آيات العالم من جمال وتفرد، ورؤية جبال وبحار وأنواع حيوانات ونباتات غريبة، غادر "احمد بن عبدالله " القاهرة فجرًا، "مضى مضطربًا، قصير الخطى، مودعًا بعينيه الجدران والنواصي والمحال التي وقف عندها وتلك التي اعتادها دائمًا، ودَّع الأبواب المغلقة والموارية والواجهات والمباني والمآذن والقباب والمقاهي والدكاكين وقرأ الفاتحة لسيدنا الحسين ودعا الله عنده وبثه همه ومضى صوب الخليج...، عبر القنطرة الخشبية، جِمَالٌ مصطفة بارعة مثقلة القوافل، ومع هذه القافلة الغريبة تبدأ هذه الرحلة العجيبة، رحلة نحو مدن متخيلة، فيقول "**أحمد بن عبدالله**" **بطل الرواية للرجل شبه الملثم الذي سأله عن وجهته** "**أسافر مع الشمس** " **يتهلل وجه الرجل ويقول له** "**أهلا بالكريم ابن الكريم** " **وحين يتساءل أحمد دهشًا هل تعرفني؟ يقول الرجل شبه الملثم بلهجة غامضة:** "**لا ولكني أتوقعك**"...**فيقول له**" **لكنك تبدو وكأنك تعرفني**" [(١)]، واستغرقت رحلته مع القافلة أربعين يومًا وقد قال عنها "**إنه ما من مرحلة اكتملت فيها غربته منذ خروجه مثل تلك الأيام الأربعين، إذ يستعيدها يخشى، كأن مجرد احتمال عودتها بالخاطر مما يخيفه.. كذلك فإنه عندما يصل المملكة يظل في عزلة لمدة أربعين يومًا بعدها يبدأ في ممارسة مهامه كحاكم للمملكة، وأيضا فإنه يمشى في نهاية الرواية وحيدًا لمدة أربعين يومًا، "منقطعًا عن الخلق تمامًا، بدأ ظهور نخيل، أشكال غريبة من الصبار، تغير لون الرمال من صفرة إلى حمرة أيقن أنه على وشك بلوغ علاقة فارقة خاصة عندما رأي طيورًا محرمة**"[(٢)].

(١) رواية هاتف المغيب، جمال الغيطاني، دار الشروق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص١٨-١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٠ وما بعدها بتصرف.

وكما نلحظ أن الأحداث تُوِّجَت بالعديد من الإيماءات والإيحاءات والرموز الغامضـة، التـي تزخـر بعـوالم أسـطورية لعـب الخيـال الإبـداعي دورًا كبيـرًا فـي تكوينهـا، وقـد اسـتطاع الغيطـاني مـن خـلال اسـتخدامه للمعـادل الموضـوعي للأحداث، أن يقدم إدانـة واضـحة لتقييد حريـة الإنسان، وسيره علـى غير رغبتـه وإرادتـه، واسـتنكر الظلـم والقمـع والاسـتبداد والاسـتهانة بكرامـة الشـعوب، وإدانـة لعمليات التلصـص التـي يقوم بهـا البصاصـون المدانون بالاسـتيلاء علـى خيرات الـبلاد، فجـاء المعـادل الموضـوعي رمـزًا للظلـم والقمـع والاسـتبداد المتفشـي فـي المشرق والمغرب على حدٍ سواء، فاستطاع الكاتب من خلال المعادل الموضوعي الرمـزي تفريـغ شـحناته العاطفيـة، والتعبيـر عـن مشـاعره الذاتيـة بطريقـة مكثفـة وعميقة ومؤثرة .

وفي الرواية مشاهد أحلام كثيرة وإشارات كثيرة لأحلام الطيران في الهواء، أو السـباحة تحـت المـاء، إضـافة إلـى أحـلام التـذكر للطفولـة وللقـاهرة ومقاهيهـا وشوارعها، وكلها تشى برغبة عميقة استولت على عقل ووجدان "أحمد بن عبدالله" ودفعته دومًا إلى تجاوز الممكن ومقاربة المستحيل (١).

وفي روايتـه "الزينـي بركـات**" تدور الأحداث حول "بركـات بـن موسـى" عندما قرر السلطان أن يوليه الحسبة الشريفة للقاهرة، حيث سيكون مسئولًا أمام السلطان عن أحوال السكان– كمراقبـة الأسـعار والنظـر فـي المكاييل والموازين، ومعرفـة مـا يتـردد علـى أفـواه النـاس، والتصـدي للأمـر بـالمعروف والنهـى عـن المنكر، كما أنعم السلطان عليه بلقب الزينى يقرن باسمه بقية عمره ولكن الزينـى ذهـب للسـلطان متضـرعًا وباكيًـا راجيًـا إعفـاءه مـن هـذه المسـؤولية الجسـيمة فهـو

(١) مقال بعنوان: جغرافيا الوهم وتاريخ المكان قراءة في رواية هاتف المغيب لجمال الغيطاني، بقلـم/ شـاكر عبدالحميـد: أسـتاذ علـم الـنفس بجامعـة القـاهرة. مجلـة نزوي،العـدد (٢) https://www.nizwa.com تمت الزيارة بتاريخ ٦/ ٢٠٢٣/١١م.

عبد فقير لا يطيق الوصاية على إنسان يريد انقضاء عمره في أمن وسلام، ولن يستطيع أن ينام ليله لو كان هناك مسلم مظلومًا في مكان ما سيحاسب عنه يوم القيامة وهو لا يعلم به، فيقول " **في حضور عظيم، طلب الزيني بركات بصوت خدشه التأثر، أن يعفيه مولاه من وظيفة الحسبة، قال بصوت مرتجف الحسبة يامولاي ولاية يؤتمن بها صاحبها على أحوال العباد، وحاشا لله أن أجد في نفسي القدرة على هذا، أنا عبد فقير لا أطيق وصايتي على إنسان، أتمنى انقضاء عمري في أمن وسلام، بعيدًا عن أمور الحكم والحكام، ما أريده رقصة آمنة، لا يقلقني فيها سب إنسان، أو سخط مظلوم أغفلت عنه ولم أنصفه من ظالم**"(١).

فالصورة الظاهرة التى يرسمها الزيني بركات، هي صورة الزهد والورع وعدم الرغبة في الظهور والمنصب، ويدلل على الصدق والعدالة التى يتحلى بها الوالي عندما تخير شخصية زاهدة في الدنيا، فهو لا يعنيه المنصب، ولا تغره الدنيا، وإنما جلّ اهتمامه أن يعيش في أمن وسلام، لكن الواقع على خلاف ذلك، فهذا الحدث تحير منه كبير البصاصين "الشهاب زكريا بن راضى" فالمعلومات المتوفرة لديه من جهازه الرهيب تقول بأن بركات دفع ثلاثة ألاف دينار إلى الأمير؛ كي يشترى بها هذا المنصب، وزادت حيرته عندما لم يجد أية معلومات في أرشيفه عن هذا الرجل بينما وظيفته ككبير للبصاصين أن لا يفوته أي أمر من أمور مصر وأن يعرف كل شي عن أي شخص، فيقول الغيطاني "**لولا ثقة زكريا فيما نقل إليه بعد الغروب ما صدقه الآن، أكثر من مصدر، أكثر من بصاص، كل بصاص يجهل الآخر، نقلوا إليه أخبار سعي بركات بن موسى،**

(١) رواية الزيني بركات، جمال الغيطاني، دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت، القاهرة ط١، ١٩٨٩.، ص٤١.

لحصوله على منصب الحسبة، ذهابه اليومي إلى الأمير قاني باي، طلوعه إليه، بقاءه عنده، ثم ثلاثة آلاف دينار كاملة سلمها إلى الأمير قاني باي ليلة الثامن العشرين من رمضان المعظم بعد العشاء ثلاثة آلاف دينار يشترى بها بركات منصب الحسبة" (١).

فاستخدم الغيطاني من هذه الأحداث معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى المحسوبية والرشاوي التى كانت سائدة في هذا الوقت، فلم يتولى الزيني المنصب إلا بعد دفع الرشوة إلى الوالي، وهذا يدل على الفساد الذي ساد في فترة زمنية يشير إليها الكاتب مستخدمًا المعادل الموضوعي الرمزي، وتوالت الأحداث وتولى "بركات" مسؤولية الحسبة الشريفة إرضاء لجماهير الشعب بعد أن أثبت لهم في الظاهر زهده وتعففه، فحينئذ تنفس الناس الصعداء وأملوا بداية عهد مجيد كله عدل ورخاء، وأصبح كبير البصاصين الشهاب زكريا حسب الأصول نائبًا له (٢).

ويقودنا الغيطاني في أحداث روايته إلى حقبة زمنية فيها تداخل عجيب بين الأزمنة، فتشعر عندما تقرأ الأحداث كأنك في رحلة عبر الزمن، وكأنه يروي لنا حدثًا نشاهده أمام أعيننا لكن بلغة الماضي، فيقول على سبيل المثال:

" يا أهالي مصر

نأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر

انكشف المستور

منذ ستة شهور

تسلم الزيني بركات

---

(١)رواية الزيني بركات، جمال الغيطاني، دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت، القاهرة ط١، ١٩٨٩.، ص٣٩.

(٢) موقع المعرفة، مقال بعنوان" الزيني بركات" رواية عبر الرابط التالي: https://www.marefa.org/ تمت الزيارة بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٦م. بتصرف

ناظر الحسبة الشريفة

ووالي القاهرة

تسلم الأمير ماماي الصغير

وبعد أن قرره احتاط على موجوده

وظهر لديه ما قيمته

تسعون ألف دينار

وهذا يزيد عما طلبه السلطان

بعشرين ألف دينار

وقد سلمت الأموال، جميعها

إلى بيت المال

يا أهالي مصر

أمر الزيني بركات بن موسى

ناظر الحسبة الشريفة

ووالي القاهرة

بفرض ضريبة على بيوت الخطأ

ومنع تردد من هم دون العشرين عليها

حفاظًا على الخلق، والشريعة[١].

فنرى الغيطاني يتخذ من زمن المماليك معادلًا موضوعيًا، يتخذ منه قناعًا رمزيًا لإدانة الحاضر السياسي، وهي – بالتالي– رواية طليعية وجديدة لبنيتها السردية التراثية التي تقوم على خلخلة البناء المنطقي والزمني للأحداث واللجوء

(١) رواية الزيني بركات، جمال الغيطاني، دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت، القاهرة ط١، ١٩٨٩.، ص١٦٤-١٦٥.

إلـى تعـدد الـرواة والـرؤى السـردية والإثـراء اللغـوي الأسـلوبي، وتوظيـف الوثـائق والخطابـات السـردية وعتاقـة الأسـلوب التراثـي لخلـق حداثـة سـردية وصـوت فنـي متميـز، وقـد أبانـت أحـداث الروايـة عـن طريـق الإيمـاءات والإشـارات الخفيـة إلـى القهر المملوكي ومزجه بقهر الستينيات(١).

ومـن هنـا يتضـح لنـا أن الغيطـاني اسـتخدم الأحـداث كمعـادلًا موضـوعيًا رمزيًـا؛ ليعبـر بـه عمَّـا يـدور بخلـده، ويحيـك فـي صـدره ويخشـى التصـريح بـه، فاسـتخدم هذا المصـطلح؛ ليـدلل علـى مـراده بطريقـة أكثـر عمقًـا وتـأثيرًا فـي نفس المتلقي والسامع .

(١) ديـوان العـرب، مقـال بعنـوان: الزينـي بركـات، جمـال الغيطـاني، بـين التخييـل التـاريخي والتأصيل التراثي، بقلم جميل حمداوي الاثنين ١٩ شباط (فبراير) ٢٠٠٧، تاريخ الزيارة ٢٠٢٣/١١/٢م https://diwanalarab.com بتصرف .

المبحث الثاني:
المعادل الموضوعي للشخصيات
في روايات الغيطاني

المبحـــث الثاني

المعادل الموضوعي للشخصيات

لاشــك في أن المعادل الموضوعي الرمزي" ثقافة تعبيرية ذات دلالة واسعة محركـة للمعنـى وتعكس قدرة خيـال الشـاعر علـى الابتكـار والتوظيـف؛ ذلـك أن الكاتب عندما يوظف الرمز في عمله لا بد أن يعتمد على المخيلة الفنية القادرة على ربط ذلك الرمز الموظف مع المضمون الذي أراد أن يحمله النص[١] ."

ولقد أوجــد الأديـب المعاصـر فـي التعبيـر الرمـزي مـا يحقـق لـه الطـابع الدرامي في عمله، "فلا يمكن أن نقرأ نصًا روائيًا خارج مقولة الشخصية نظير الحدث الذي لا يتصور وقوعه خارج دائرتها فضلًا عن مكوني الزمن والفضاء السرديين، فالشخصية قطب الرحى ، وهي التى تدير وتتحكم في جميع المقولات السردية" [٢] .

وتعد الشخصيات" العمود الفقري التى تنهض به الرواية، والشريان الذي ينبض به قلبها؛ لأن الشخصية تصطنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات والعواطف والمشاعر، وتقوم بالأحداث ونموها وتصف ما نشاهد، والشخصيات في الرواية هي انعكاس لواقعية التجربة، وقد جسدت شخصيات الرواية وأحداثها واقعًا معيشًا في حقبة زمنية معينة؛ "فالشخصية في العالم الروائي ليست وجودًا واقعيًا بقدر ما هي مفهوم تخييلي تشير إليه التعابير المستعملة في الرواية؛

---

(١) الشخصية الرمزية في شعر أديب كمال الدين دراسة في ديوان " الحرف والغراب" ، سمير عبـــد الـــرحيم أغـــا، الحـــوار المتمـــدن-العـــدد: ٤٤٢٣ – ١٣ /٤ /٢٠١٤م، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=410196 تـاريخ الزيـارة ٢٠ /١٠/ ٢٠٢٣م ، بتصرف .

(٢) ينظر: توظيف التراث العربي فى نماذج من روايات جمال الغيطاني، للباحثة، هنية بن موسى، جامعة الشهيد، الجزائـــر ،تاريخ النشر ٣٠ / ١١/ ٢٠٢٠م. ص٩٤.

للدلالة على الشخص ذي الكينونة المحسوسة الفاعلة التى تعانيها، هكذا تتجسد على الورق فتتخذ شكل لغة وشكل دوال مرتبة منطقيًا أو انزياحيًا ينتج عنه انحراف عن القاعدة والمعيار في اتجاه توليد الدلالة في ذهن القارئ بعد فكه شفرة العلامات الدالة " (١) .

وقد استخدم "الغيطاني" بعض أبطال رواياته معادلًا موضوعيًا يحمل بين طياته رمزًا عميقًا، على سبيل المثال لا الحصر:

** في روايته "**الزيني بركات**" والتى تعد واحدة من أشهر الروايات في الأدب العربي، حيث تناول «الغيطاني» من خلالها ظاهرة القمع السياسي والخوف، واتكأ على أسبابه، وبين مظاهره المرعبة في الحياة العربية، وفيها جسد تجربة معاناة القهر البوليسى في مصر، وتدور حول شخصية رئيسية تسمى «بركات بن موسى» والذي أطلق عليه السلطان لقب "الزيني بركات" وكان يعمل كبيرًا للبصاصين، أو رئيسًا للمخبرين، في عهد السلطان الغوري، أوائل القرن العاشر الهجري، في مدة كان الشعب يعاني من سطوة السلطان وصراع الأمراء واحتكار التجار وعيون البصاصين، فكانت الرواية أنموذجًا من نماذج القهر والاستبداد الذي تعرض له المصريون في هذه المدة، وجاءت شخصية "الزيني بركات" معادلًا موضوعيًا يرمز به الكاتب في الظاهر إلى العفة والطهارة والتدين، والأمانة وعلو الهمة، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، ونشر العدل والأمان فيقول " **قررنا أن يتولى الزيني بركات بن موسى، حسبة القاهرة، لما تبين لنا بعد ما قدمناه، ما فيه من فضل وعفة، وأمانة وعلو همة، وقوة وصرامة، ووفور هيبة، وعدم محاباة أهل الدنيا وأرباب الجاه، ومراعاة الدين، كما أنه لا يفرق**

(١) ينظر: الشخصية الرمزية في شعر أديب كمال الدين دراسة في ديوان " الحرف والغراب" ، سمير عبد الرحيم أغا، الحوار المتمدن–العدد: ٤٤٢٣ – ١٣ /٤ /٢٠١٤م، تاريخ الزيارة ٢٠ /١٠/ ٢٠٢٣م ، بتصرف .

في الحق بين الرفيع والحقير، لهذا أنعمنا عليه بلقب "الزينـي" يقرن باسمه بقية عمره."[١]

فجعل الكاتب من شخصية البطل رمزًا للعفة والصدق والأمانـة؛ لذلك ولَّاه علـى حِسْبَة القـاهرة، وهذه مكانـة لا يستحقها إلا شـخص نبيل ذو همـة وشـرف ومكانـة رفيعـة، فجـاء "الزينـي" رمـزًا لكـل مـا هـو نظيـف مـن الـداخل والخـارج، فبأخلاقة العالية التى يظهرها للمسئولين، أصبح في مكانـة رفيعـة؛ فنسبت إليه هذه الصفة طوال حياته.

وفي موضع آخر يؤكد الكاتب نزاهة ومصداقية "الزيني بركات" فهو يرد الحق إلى صاحبه ولا يخشى في الحق لومة لائم فيقول:"

يا أهالي مصر
أمر مولانا السلطان
بتسليم المجرم بن المجرم
على بن أبي الجواد
إلى ناظر الحسبة الشريفة
الزيني بركات بن موسى
ليتولى أمره
ويأخذ حقوق الناس منه
يا أهالى مصر
كل من وقعت عليه مظلمة
بسبب على بن الجواد
عليه التوجه إلى باب الزيني بركات
ليرد عليه حقه وماله[٢] **.**

(١) رواية الزيني بركات، ص٣٠ .

(٢) رواية "الزيني بركات" جمال الغيطاني، ص٧٣-٧٤ .

** ونراه يستخدم من "الزيني بركات" معادلًا موضوعيًا؛ ليرمز به إلى المخلص الذي يسعى للإصلاح والعدالة، ويسعر السلع بنفسه، فيقول:" **الزيني دائم التفتيش على أسعار البضائع، يتعقب أوكار الفساد، مشي الناس في الطرقات، له قواعد لابد من الالتزام بها، أحيانًا يمنع النساء من ارتداء أزياء معينة.....رأيت الزيني يناقش باعة الحلوى، والأجبان، والبيض، يقف وقتًا طويلًا مع الفلاحات بائعات الدجاج والأوز والبط، يسعر الأصناف بنفسه، يُجَرِّس المخالفين في المدينة ...**"(١)

فالكاتب استطاع من خلال هذا المثال أن يرسم قناعًا متميزًا للشخصية، فاستخدمها رمزًا للالتزام ومحاربة الفساد والخوف على النساء، والحفاظ على حشمتهم وعدم تعريهم في الطرقات... .

ونرى الغيطاني في موضع آخر يستعمل نفس الشخصية" **الزيني بركات**" معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى (الانتهازية والوصولية واستغلال النفوذ، والعمالة، والمداهنه) ولكنه بدهائه استطاع أن يخدع الشعب ويرتدي ثياب العفة والصلاح، فالزيني بركات حين يحاصر الشعب بقمعه واستبداده وقهره، حين يمارس أقسى أشكال العنف والرعب والقهر على المسجونين في السجن، ويكفي أن نقرأ عن تعذيب التاجر "علي ابن أبي الجود" وتدرج الزيني في التفنن بتعذيبه ليحصل على المال، والأدهى أن وسيلة إرغامه على الإقرار كانت بتعذيب الفلاحين أمامه عذابًا منكرًا بغية إخافته وترويعه على مدى سبعة أيام منها –على سبيل المثال– تعذيب فلاح أمام عينيه: يقول واصفًا اليوم الثاني من التعذيب "**أظهروا فلاحًا من المحابيس المنسبين، نزعوا عنه ثيابه تمامًا، نظروا إلى على بن الجواد، قال الزيني، انظر سأفعل بك كما أفعل بهذا الرجل أظهروا حدوتين محميتين لونهما**

(١) ينظر: رواية الزيني بركات، ص٩–١٠ .

أحمر لشدة سخونتهما، بدأ يدقهما في كعب الفلاح المذعور، نفذ صراخ الفلاح إلى ضلوع علي، وكلما حاول إغلاق عينه يصفعه عثمان بقطعة جلد على قفاه."(١)

وفي اليوم الرابع والخامس " **ذبح ثلاثة من الفلاحين المنسبين، أسندت رقابهم إلى صدر "علي بن أبي الجود" والزيني يدخل ويخرج محمومًا مغتاظًا يسأل" ألم يقر بعد؟" لا يجيب أحد. يضرب الحجر بيدي**(٢) .

وقد استخدم الغيطاني المعادل الموضوعى الذي يرمز إلى الانتهازية والاستبداد والظلم، ولم تقتصر رؤيته على إدانة الشخصية فقط، بل تتعدى إلى إدانة عصر بأكمله، فالعصر الذي يوجد فيه "الزيني بركات"، لا شك في أنه عصر يموج بالفساد والتفكك والظلم... .

أضف إلى ذلك أن "الزيني بركات" جاء عنوانًا للرواية، ومما لا شك فيه أن سيميائية العنوان ترتبط بالمدونة الأدبية وما تحمله من مضامين، فجاء العنوان؛ ليحمل بعدًا رمزيًا يدلل به الكاتب على أهمية الشخصية، ومكانتها في نفوس الشعب، وسواء كان الزيني بركات معادلًا موضوعيًا يرمز به الكاتب إلى العفة والطهارة والشرف وقمع البصاصين الجواسيس أو يرمز به للانتهازية والوصولية، فإن هذه الشخصية تمتد؛ لتصور أحداث عصر بأكمله، فالعصر الذي يظهر فيه الزيني وينطلي على أهله خداعه بهذا الشكل لا شك أنه عصر يموج بالفساد والتفكك والظلم والجور.

ويوضح الكاتب الأسباب والدوافع التي دفعته إلى كتابة (الزيني بركات) بهذه الصيغة التاريخية التراثية والتي أرجعها إلى انتشار المخابرات وتتبع أجهزة

(١) ينظر: رواية الزيني بركات ، ص١٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٧.

أمن الدولة للمثقفين والمعارضين والتنكيل بحرية الصحافة والإبداع وتكميم أفواه الشعب وتتبع أنفاس الرعية فيقول: " **وكنت أشعر بوطأة القهر البوليسي، وبحصاره للمثقفين وأفراد الشعب عمومًا، كنت في رعب من الأجهزة الأمنية، ومنذ بداية الستينيات وأنا أشعر بالمصادرة، بالرغم من أني لست رجل سياسة، ولهذا حاولت أن أعرف كل شيء عن هذه الأجهزة وتركيبها الداخلي، وحينما بدأت أكتب" الزيني بركات" كنت أحاول أن أكتب قصة شخص انتهازي، فقد استرعى انتباهي في الستينيات وجود نموذج للمثقف الانتهازي الذي يبحث عن شخصية كبيرة يحتمي بها أو يصاهرها كأن يتزوج ابنة شقيقها أو شقيقتها مثلا، وهو انتهازي بسيط إذا ما قورن بنموذج انتهازي السبعينيات، لقد التقت هذه الملاحظة مع ما كتبه ابن إياس عن شخصية انتهازي خطير هو "الزيني بركات بن موسى" وبعد إن انتهيت من كتابة الرواية فوجئت بها تتحول من رواية انتهازي إلى رواية "بصاصين".** "(١)

كما نراه يستخدم شخصية "**سعيد الجهيني**" الطالب الأزهري الواعي المثقف معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى قيم الرفض والثورة والمعارضة، فشخصية الجهيني ليست واقعية، ولكن الكاتب نسجها من مخيلته، يقول أخبرني محدثي: "**إن وليًّا من أولياء الله (قديس) كان يقيم في القاهرة، هجر بيته وانطلق إلى الريف يقيد فيه نارًا حامية يستنفر الشعب،... يقدر عمره بمائة عام، بل أزيد، وأنه أوتى شجاعة عظيمة، وشرب من نبع الحياة، ومن شرب من نبع الحياة لا يموت أبدًا ولا يهزم قط، وفعلًا انطلق في أثره مئات من الشبان الصغار والرجال والنساء، ومعظمهم لم يشاهدة مرة واحدة أثناء إقامته في القاهرة،**

(١) موقع المعرفة، مقال بعنوان" الزيني بركات" رواية عبر الرابط التالي: https://www.marefa.org/ تمت الزيارة بتاريخ ٢٠٢٣/١١/٦م. بتصرف

وأخبرني محدثي أن هذا الولي (القديس) يطوي معه بيرقًا رهيبًا؛ يقال له البيرق النبوي، ومتى نشره تهب أمة مصر من أدناها إلى أقصاها، فتضع السيف في رقاب الغزاة ولا ترتد حتى تفنيهم؟ أبديت الشك لمحدثي وسألته؛ لماذا لم ينشر هذا البيرق الآن؟ قال واثقًا إنَّ هذا لا يتم إلا بأمر من عنده، وأشار إلى السماء، بكى محدثي وهو شيخ من مشايخ الأزهر؛ قال: جاء في الكتب القديمة؛ "مصر كنانة الله من أرادها بسوء قصمه الله" اليوم فقط نودي في الناس بالأمان" (١)

فشخصية "سعيد الجهني" استخدمها الكاتب بوصفها معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى روح الحرية والتمرد والثورة والرفض للأوضاع السياسية والتاريخية التى استكان لها الشعب مدة زمنية طويلة، فجاءت الشخصية قناعًا لما يبحث عنه الكاتب من الحرية والشعور بالأمان، فرفضت الشخصية الظلم والاستبداد وقمع البصاصين، واستطاعت بتدينها وإيمانها وقدسيتها تحرير مصر –أرض الكنانة– من براثن البصاصين الذين عاثوا فيها لمًا وبهتانًا .

** وفي روايته "**متون الأهرام**" نجده يستخدم شخصية الشيخ التهامي، معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى العالم المثقف، العالم بكل العلوم والفنون والآداب، حتى إنه لشرف لطلاب العلم اتباعه والتتلمذ على يديه يقول:" **البداية لحظة، تحوي المكان والزمان بعض النقاط يمكن تحديدها والأخرى تتوه في إجمالي البنية الغاربة، لذلك لا يمكن تحديد يوم معين لرؤية الشيخ تهامى أول مرة، كيف اهتدى إليه؟ ما من إجابة مؤكدة، غير أنه من أوائل الذين اتصل بهم وتعامل معهم مباشرة في سنه المبكرة تلك، كان يعرض الكتب القيمة يرصها بحذاء الجدار الرمادي العتيق، عناوين مختلفة فقه، تفاسير، تاريخ،**

(١) رواية " الزيني بركات " ص٢٨٣ .

روايات...يكتب أسعار الكتب بالقلم الرصاص على الأغلفة الخلفية، لا يناقش لا يجادل...لكن.. إذا اقترح المشتري سعرًا أقل وبدا ذلك نتيجة حاجة وانعدام قدره فإنه يومئ فقط، يهب الكتاب مقابل ما يمكن دفعه...[(١)] ".

فاستخدم الكاتب شخصية "الشيخ التهامي" معادلًا موضوعيًا؛ ليرمز بها إلى التدين والقناعة واكتساب العلم والمعرفة وتشجيعه الطلاب على طلب العلم بشتى الطرق المتنوعة، ونلحظ أن الغيطاني أدرج في هذا الحدث مقاطع من سيرته الذاتية، فيصور لنا الكاتب مشهد الشيخ تهامي وهو يبيع الكتب القديمة على رصيف جامع الأزهر الشريف، فنحن الذين عرفنا الكاتب نعلم جيدًا أن أول كتاب إحتازه إبتاعته له أمه من ذلك المكان الذي سيتردد إليه لاحقًا؛ لإقتناء الكتب القديمة، ونستشف من خلال ذلك " النفس الصوفي الذي ينفتح على آفاق سحرية والذي يعين على خلق أجواء تصويرية، مجازية، تتجاوز المحسوس، لتقيم عالمًا من الإشارات ينأى بها عن المباشرة، وكأن الكاتب يرمز بهذا الشيخ العالم النحرير إلى شخصيته وذاته، فكانت الإشارة هنا أبلغ من التصريح؛ لأنها ساعدت على إعمال الذهن والعقل؛ وساعدت على ثراء المعنى ودقته... ويعد هذا المظهر الثرُّ من الثقافة العربية ومن تراثها الثقافي كان مهملًا عن عمد قبل الغيطاني إن لم نقل إنه كان مُزْدرى، وكان هناك ما يشبه الفراغ فيما يتعلق بالأشكال السردية في الأدب العربي المعاصر وفي تلك الموروثة، على الرغم من ثراء هذه الأخيرة في الشكل والمضمون والأسلوب، الأمر الذي أفاد منه هذا الروائي؛ حيث منحه شخصية أدبية مميزة، ومن ثم أسلوبًا وتجربةً أدبية ولغوية خاصة، راحت تتنوع من عمل إلى آخر، من هنا فإن كل رواية يضعها تمثل

(١) رواية متون الأهرام، جمال الغيطاني، دار الشروق، الطبعة الأولي ١٩٩٩م، ص٩ .

عالمًـا مختلفـاً فـي إطـار نتاجـه الأدبـي، إنـه كاتـب فـي حالـة بحـث دائـم عـن خصوصية معينة له بين أقرانه" (١) .

** وفـي روايـة "**الرفـاعي**" يسـتخدم مـن شخصـية الرفـاعي بطـل الروايـة معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى البطولة والتضحية بالروح والدم في سبيل الوطن، يقول: " **أبـدى الرائـد وسـام ملاحظـة.. لكـن هـذه المنطقـة مليئـة بالشـعاب المرجانيـة،.. قـال الرفـاعي:.. الآن سنجيء إليهم من هنـا.. الآن تطير قوارب الزورياك فوق رذاذ المـاء المتنـاثر، يستند الرفـاعي إلـى حافـة الـزورق بيـده، يمسـك بيـده اليسـرى مدفعـه، يتطـاير رذاذ ويصـخب المـوج، وتشـهق سـماء زجاجية، يبدو شاطئ شـلاطيم صـخريًا وعرًا، يهدئ الرفـاعي مـن سرعة قاربـه، يبـدو أن العـدو لـم يتوقـع قـدوم أحـد مـن هـذه المنطقـة، لـم تظهـر دوريـات ساحلية... ترتفـع يده، تتوقف المحركات المركبـة فـي مؤخرات الـزوارق، يقف الرفاعي غير مُنْحَنٍ في القارب ....تحمل الأمواج القوارب إلـى المـاء الضحل، يقفـز الرفـاعي، يمسـك مقدمـة الزورياك،... يخطـو الرفـاعي، فـي الهجـوم هـو الحرف الأول، وفي العودة هو اللفظ الأخير، لحظـــة الاشتباك طلقته تسبق كل الطلقات...."** (٢) .

فالكاتب هنا استخدم الشخصية معادلًا موضوعيًا يرمز إلى معنى البطولة والتضحية والفداء في سبيل الوطن؛ وساعد ذلك على بث روح الوطنية والحماس في نفوس الشعب، فالبطل ورفاقه آثروا التضحية بأرواحهم في سبيل تحرير

---

(١) الغيطاني وجدلية المجرد والمحسوس في –متون الأهرام– **الحوار المتمدن–العدد: ٤١٧٦** –٨/ ٦/ ٢٠١٣– تاريخ الزيارة ٢٥ / ١٠/ ٢٠٢٣م، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?? بتصرف .

(٢) رواية الرفاعي ،ص ٣٩٨–٣٩٩ ، بتصرف.

الوطن، فتحملوا المصاعب والمخاطر من أجل الحصول على الحرية، فأصبح بطل الرواية ورفاقه عنوانًا للشموخ والإباء والإقدام على مر السنين .

فجعل الكاتب من الشخصية الرئيسية "**الرفاعي**" بطلًا مقدامًا شجاعًا يتقدم رفاقه في مواجهة العدو، ولم يتراجع ولم يستسلم على الرغم من خطورة الموقف وشدة القتال، فيتحمل الطلقات الأولى للمعركة، ووفق الكاتب عندما جعله في مؤخرة الجيش عند المغادرة؛ لأنه يرمز بذلك إلى تحمله مسئولية الدفاع عن الوطن وحماية رفاقه الذين يدافعون معه عن وطنهم... ومن هنا ندرك المكانة العظيمة للأبطال الأوفياء الذين يتحملون المخاطر في سبيل الدفاع عن وطننا، فطلقته على العدو تسبق جميع الطلقات؛ لبث روح الحماس في نفوس رفاقه الجنود .

كما استخدم الشاعر بعض شخصياته **من الأساطير الشعبية المتوارثة**، واستطاع أن يوظفها توظيفًا يدعم تجربته الفنية، ويعضض بها الواقع التاريخي الذي يريد أن يبرزه من خلال الأساطير فاتخذ منها قناعًا ورمزًا يصور الواقع المجتمعي والتاريخي الذي يعيش فيه، ففي روايته " **الزويل**" أول الروايات التى كتبها فى حياته، كتب فى مقدمتها أنها واقع يقف على حدود الأسطورة، والحقيقة أنه يطمح فيها إلى خلق واقع خاص، وفيها يستخدم الكاتب شخصية الزويل الكبير معادلًا موضوعيًا، يرمز به إلى "المهدي المنتظر" فصور شخصية الزويل الكبير بصورة مركزية مرجعية، على أساس نسق أسطوري خرافي، يستعير نظامه من المهدي المنتظر، ذلك لأنها فكرة تقوم على تخليص الجماعة التى يحل فيها المهدي من الشرور والآثام، وتطهير نفوسهم من الضغـــائن... [١] .

(١) توظيف التراث العربي فى نماذج من روايات جمال الغيطاني، للباحثة، هنية بن موسى، جامعة الشهيد، الجزائـــر ،تاريخ النشر ٣٠ / ١١/ ٢٠٢٠م، ص ١٠١ بتصرف.

فالمعـادل الموضـوعي لشخصـية "**الزويـل الكبيـر**"، جـاء رمـزًا لشخصـية أسـطورية لا دينيـة، لكنهـا تسـتخدم نصـوص تكـون بمثابـة حلقـة الوصـل بـين الشخصـية الأسـطورية والشخصـية الروائيـة، إذ يصـور الغيطـاني شخصـية زويـل الكبير على نحو تبدو أقرب فيه إلى الآلهة كما نصت عليها الأسطورة، فيقول"... **يبدو النهار من نهايته، يبدأ الإله زويل الكبير يرقب ما يجري في الدنيا، يسمع الآهـة، رجفـة الشـكوى، آلام الفـراق، دبيـب النمـل فـي الجحـور، رفرفـة ريـش العصافير، زحف الحيات في أوكارها... يغمض الإله عينيـه فيجـيء ظلام قـاتم، يفتتحهما فيلد نهارًا طفلًا رقيق الزرقة...** . [١].

فاستخدم الكاتب شخصية "**زويل الكبير**" معادلًا موضوعيًا؛ يرمز بـه إلـى المهدي المنتظر، فصوره بالإله العالم بالكون، وأسراره، العليم الخبير بما يدور في الكون من حولـه، حتـى دبيب النملـة فـي جحرها، ويتـابع الأمـر عن كثب حتـى تغمـض عينـاه، حينهـا يـأتي الظـلام القـاتم، وعنـد إفاقتـه مـن نومـه يولـد الصـباح المشرق كالطفل الرقيق، الـذي يمـلأ الكـون لهـوًا ولعبًـا وسـعادة، ويُعَـدُّ شخصـية المهـدي المنتظـر هـو القنـاع لرمـز الخـلاص الـذي تنتظـره مصـر بعـد معاناتهـا وحروبهـا، إنهـا تنتظـر هـذا المهـدي؛ ليخلصـها مـن آلامهـا ويعيـد إليهـا حقوقهـا، وتستريح معه من عذابها.

ثم يختفـي الإلـه زويـل الكبيـر، ويحـدد لنـا سـبب اختفـاء هـذا الإلـه، وحـدود تأثيره في نواميس الطبيعة، فاختفاؤه كان نتيجة ارتفاعه إلى السماء؛ ليستريح من العذابات المخيفة التـى لاقاها علـى مـر الأزمـان، ثم يصـور ظـروف رجعتـه بعـد طول انتظار، فيقول:" **كان زويل الكبير قد ضاق بما يجري فـي العالم، وكـادت روحه الطاهرة النقية كالندى تختنق في آثامه وشروره...ارتفع إلى السماء بعد**

(١) رواية الزويل، جمال الغيطاني، مكتبة مدبولى ص ٨٩-٩٠بتصرف .

عذابات رائعة وآلام مخيفة عانى منها أجيالًا طويلة، توارى في الغمام...راح زويل الكبير يراقب ما يفعله أبناءه...وفي غداة وصولهم يبدوا لهم زويل الكبير عند الركن الأيمن للجبل الذي قيل إنه ارتفع عنه يشهر بيده رمحًا رأسه مُذَهب يدفعه إلى الشيخ زويل الظاهر الذي يذبح نفسه راضيًا، عندئذ يتولى زويل الكبير القيادة بنفسه... حتى الجبال قيل إنها ترتعش يومئذ من شدة الهول..."(١).

وتفاصيل هذه الرواية تجعلنا نعيش الكثير من المفاجآت الصادمة، حيث إننا عند قرائتها ندرك أن لا حدث فيها مقصود لذاته، فهي عبارة عن طلاسم وشفرات، وعلينا أن نحاول فك تلك الشفرات والطلاسم التى أتى بها الكاتب؛ ليرمز من خلالها إلى شيء خفي بداخله، ولا نستطيع أن نقف عليه بصورة واضحة؛ لأنها تحتاج إلى الدخول في بؤرة الكاتب والتعرف على مكاكنه النفسية.

ولعلنا نلحظ أن الشخصية الأسطورية في الرواية، جاءت انعكاس للواقع المعاش، ونقلًا للواقع وتجسيدًا له في شكل فني، وقد استقى الكاتب شخصيات الرواية وأحداثها من واقع المجتمع في حقبة زمنية معينة؛ لأن قصة حياة الشخصيات هي قصة حياة المجتمع، وقصة المجتمع هي قصة التاريخ بأكمله.

** وفي رواية "**وقائع حارة الزعفراني**" نجد أهالى الزعفرانى يخلعون على شخصية **(الشيخ عطية)** صفات تجعله أقرب للشخصية الأسطورية، مثل أنه ولد نابت اللحية وأنه رتل القرآن قبل خروجه من الرحم، وتؤكد نساء الزعفرانى أنه متزوج من جنية رائعة الحسن، وأنه يرحل إلى أماكن كثيرة فى العالم ممتطيًا ظهر أحد المردة، وأنه يصدر منه أفعالًا عجيبة فيقول:" **طلب الشيخ عطية من عويس الفرَّان أن يحدثه عن أمرين،الأول تفاصيل أحواله، ما جرى له منذ**

(١) رواية الزويل، ص ٣١-٣٢ بتصرف..

نزوله القاهرة، الثاني اسم أمه، بدا لعويس سهولة الطلب الثاني، أوشك على التفوه بالرد، لكن نظرات الشيخ اتقدت في عتمة الغرفة،.. فتحولت عيناه إلى حبتي مسبحة مستديرتين توهجتا في الظلام... وجاء صوت الشيخ غريبًا كأنه صادر من غرفة شديدة الاتساع يتخللها دخان كثيف منتظم، ولم يستطع عويس تسديد البصر إلى الإمام" (١).

فشخصية "الشيخ عطية" جاءت معادلًا موضوعيًا، يرمز به إلى عوالم البطولة الخارقة –الغير مألوفة– يشع منها دلالات عميقة، " فهذه الشخصية ذات انتماء أسطوري، فهي إن لم تتمتع بحضور مباشر في الأساطير المعروفة، فإنها تقترب إلى حد بعيد في سماتها الخاصة من سمات الشخصيات الأسطورية"(٢).

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل كان هذا الشيخ مجرد وهم خلقه أهل الزعفرانى ليسقطوا عليه عجزهم الذى لم يكن جنسيًا فقط، بل عجزهم عن مواجهة الحياة والقدرة على التحقق؟ والجواب أن هذه الشخصية جاءت رمزًا لواقع مجتمعي سياسي، لم يستطع الكاتب أن يصرح به إلا عن طريق المعادل الموضوعي الرمزي.

وقد لعبت الشخصيات الرمزية في روايات جمال الغيطاني دورًا مهمًا؛ لامتلاكها مجموعة متنوعة من الوظائف منها: التعبير عن أفكار الكاتب ورؤيته للعالم، وتطوير الحبكة والشخصيات، وإثارة المشاعر والأفكار الإنسانية لدى القارئ... .

وبعد هذا العرض: يتضح لنا أن استخدام الغيطاني للمعادل الموضوعي الرمزي في شخصيات رواياته؛ لم يكن مجرد رصد لأحداث معينة، ولكنه جاء

(١) رواية وقائع حرة الزعفراني، ص ٣٣ وما بعدها بتصرف..

(٢) رواية الزويل، ص ٣١–٣٢ بتصرف..

تعبيرًا رمزيًا عن أحداث الواقع الاجتماعي والسياسي طبقًا للواقع المعاش، وجاء التعبير بالرمز أفضل من التصريح؛ ليؤكد على رفضه التام لنظم دكتاتورية ظالمة قهرت الإنسان العربي وسلبت شخصيته واضطهدته وأزلته، وأفسدت أخلاقه، فاستطاع الغيطاني أن يختار شخصياته بدقة وحرفية، وجعلهم يعبرون عن معالم القهر، والسياسة، والسجون، والتعذيب... فاستطاع الكاتب إيصال مشاعره ونفسيته إلى القاريء في صورة أكثر دقة وتكثيفًا وعمقًا وتأثيرًا.

المبحث الثالث:
المعادل الموضوعي للزمان
في روايات الغيطاني

المبحث الثالث

المعادل الموضوعـي الزماني

يعد الزمن من أهم عناصر الرواية، فهو يلعب دورًا أساسيًا في تحديد أحداث الرواية وشخصياتها والصراعات التي تدور بينها، كما أنه يعكس رؤى الكاتب وأفكاره حول العالم، ويستخدم جمال الغيطاني الأزمنة الرمزية في رواياته بشكل مكثف، فيعد الزمن من الوسائل التعبيرية القوية، من خلال استخدام الزمن الرمزي، ويمكن للكاتب أن يعبر عن الأفكار والمشاعر العميقة بطريقة أكثر كثافة وتأثيرًا.

فالغيطاني قد شغله الزمن إنشغالًا كثيرًا دليل ذلك قوله: « منذ زمن بعيد وأحد همومي الأساسية قضية الزمن، وكان أحد الأسباب القوية التي جعلتني أتجه إلى التاريخ بمراحله المختلفة، والتاريخ عندي هو الزمن، الزمن الجبار القاهر، في صيرورته الرهيبة، والذي يحولنا باستمرار إلى الماضي، الذي يجلب الذكرى والنسيان، منذ زمن بعيد وأنا أتأمل الزمن وأمعن التفكير فيه، بدءًا من الحركة الميكانيكية البسيطة للثواني والدقائق والساعات إلى حركة الأفلاك، توالي الليل والنهار، إلى انقضاء السنوات إلى الميلاد والموت، التاريخ عندي هو الزمن المنقضي المنتهي، لا فرق بين لحظة مضت منذ ثوان ولحظة مرت على انقضائها آلاف أو ملايين السنين، كلاهما لا يمكن استعادته [١]".

"وظل مفهوم الزمن ومازال يتصدر الدراسات الفلسفية والفيزيائية والأدبية، لاسيما على مستوى علاقته بالوجود الإنساني، فالرواية هي فن زمني، والزمن الروائي تعبير عن رؤيا تجاه الكون والحياة والإنسان، ثم تطرح سؤالًا أساسيًا

(١) جدلية التناص، جمال الغيطاني، مجلة ألف عيون المقالات،العدد الثاني أبريل ١٩٨٦م، ص١٥٠ وما بعدها.

حول مدى تطابق الزمن الروائي مع الزمن الواقعي، وفي الإجابة عنه لا تنكر وجود علاقة بينهما، كما لا تنكر وجود اختلاف بين الزمنين؛ إذ إن الزمن الأول يتقدم بصورة خطية مباشرة ومن الماضي إلى الحاضر، في حين يتسع الزمن الروائي ويتقلص، ومهمته تتمثل في خلق الإحساس بالمدة الزمنية الروائية [١] ."

وتعددت أنماط المعادل الموضوعي الرمزي للزمن في روايات الغيطاني ومن هذه الأنواع :-

الزمـــن الماضي:

استخدم الغيطاني الزمن الماضي في رواياته؛ رمزًا لعدة أشياء، منها الذكريات الجميلة والتراث الأصيل والتاريخ المجيد، والخلود .

ففي رواية "**شطح المدينة**"، يرمز الزمن الماضي إلى التراث والقيم التقليدية والحضارية ومعالم التطور والتغيير التي بدأت في الاندثار ولم تعد موجودة في وقتنا الحالي، فتدور الأحداث حول حقبة زمنية قديمة، ظهر فيها مجموعة من الفلاسفة العظام اخترعوا أمورًا كثيرة، لم يجد مثلها في الوقت الحاضر، فهذه الحقبة تدل على الماضي العريق والتراث المجيد،فيقول: ".. **يقال إنه في الزمن القديم الذي لا تسفر ملامحه الآن ولا تبين، قبل تكون المجتمعات وظهور الإمارات قبل مجيء القومية الرئيسية في البلاد ....يقال إنه قامت مملكة قوية في جزر البحر المحيط النائية، تعاقب عليها حكام عديدون ينتمون إلى أسرة واحدة حتى اعتلى أحدهم العرش وكان صغيرًا...في عصره رجع الفلاسفة الذين رحلوا إلى الشرق بأمر والده عادوا بمعارف جمة وأخبار عظيمة...بدأ الفلاسفة العمل. رتبوا أمورهم، فكانوا أول من حدد مصادر الرياح، وحاول كبيرهم**

(١) الزمن في الرواية العربية، د. مها حسن القصراوي، التاريخ ٢٥ يوليو ٢٠٠٥م، تاريخ الزيارة ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢٣م https://www.albayan.ae/paths/books/2005-07-25-1.90736 .

التوصل إلى عمل يحد من خطرها....إنهم أول من حفر لاقامة أساسات البناء، ومدوا الأسقف الواقية من المطر والشمس... وأول من قسموا المباني إلى غرف منفصلة وأقاموا الحظائر للحيوانات... [١] ."

فالكاتب من خلال هذا السرد يستخدم من الزمن المنصرم معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى الحضارة والتقدم والعقلية الفذّة التى تعمل على التطوير والتغيير، فهذا الزمن القديم الماضي لم يشعر به الكاتب الآن ولم يجده، فما حدث فيه من تطور وتقدم لم يره منذ أمد بعيد؛ كما جعل من علمائنا الأجلاء الذين كان كل همهم التغيير والتطوير مثالًا يحتذى به، ويمكن تفسير ذلك من خلال تركيز الرواية على عبق الماضي بذكرياته، كما أن الرواية تتناول القيم التقليدية التي كانت سائدة في الماضي، مثل القيم العلمية والخلقية .

** وفي روايته "**هاتف المغيب**" يستخدم الكاتب المعادل الموضوعي الرمزي للزمن الماضي؛ ليرمز به إلى التاريخ العريق، والماضي التليد، والحضارة المعرفية والتاريخية والدينية القديمة، التى اقتبس منها الحاضر كل معالمها فيقول فيها:" **حتى زمن قريب كان يحدث عمّا شاهده ورآه عبر قرون عديدة، من عاصرهم وحاورهم وحضر مجالسهم، خلفاء وفقهاء وأرباب جاه ودراويش جوالة، وبناة عمائر ومزخرفو مساجد، بنايات جال طويلًا قبل استقراره في الواحه...**"[٢] .

فهذه الرواية تعد تجربة خصبة، خيالية، والملمح البارز فيها يتمثل في حضارة مصر الفرعونية الذي يشع منها، فلا نعي أن هناك شعبًا من الشعوب، قد أمضى ـ ولا يزال ـ آلاف الأعوام في ممارسة عمليات تحويل البشر إلى آلهة

(١) رواية "شطح المدينة" ص٥٩-٦٠ .

(٢) رواية " هاتف المغيب" جمال الغيطاني، دار الشروق،ص١٢ .

مثلما فعل الفراعنة من قديم الزمن؛ حيث حدد الغيطاني بداية الرحلة التى قام بها "أحمد بن عبدالله" بطل الرواية بزمن معين " **وكان خروجه عن موطنه جرى يوم الأربعاء، التاسع من مايو منذ خمس وأربعين، وربما خمس وخمسين، أو خمس وسبعين... المدى بعيد والأمر مختلط، صعب القطع وعر التحديد والإلمام**"[١] وهذا التحديد في الرواية تحديد مخادع؛ لأن الزمن الفعلى في الرواية، والذي يمثل الزمن التاريخي يزيد عن عشرة قرون، وهذا واضح من خلال أحداث الرواية[٢] .

فمن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الكاتب استخدم المعادل الموضوعي للزمن القديم، ليرمز به إلى الحضارة التاريخية العظيمة، والتقاليد المتوارثة منذ القدم، وعبقرية العقل البشري القديم، كما يرمز إلى أن البطل ينتمي للعصر الجاهلي فهو قد عاصر تشيد قصر الخورنق، –قصر النعمان بن المنذر؛ دلالة على العظمة التاريخية والتراث المجيد، وربما يمثل هذا الزمن معادلًا موضوعيًا لحلم الكاتب، ورغبته في العودة إلى حياته الأولى، وأنه يشعر بغربة روحية في واقعة وزمانه ويتمنى أن يعود إلى عبق الماضي التليد، بنقائه وعفويته، وأصالته.

ونلحظ في هذه الرواية استخدام الزمن كمعادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى الخلود والحماية، والتجدد والخصوبة والبركة، يقول:" **أيام عديدة تمضي، لا يطل عليه أحد، كان ماثلًا بوجوده المادي بينهم، لكنه خارج الزمان، لا يطل عليه أحد، المألوف الإنساني حضوره قائم بذاته، فلا يقارن به أحد، ولا يقاس بعمره**

(١) ينظر: بنية الزمن الروائي عند جمال الغيطاني، رواية "هاتف المغيب"أنموذجًا، د/ إيمان زكي محمد، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، العدد (٢٥) جامعة سوهاج، الجزء الثاني ٢٠١٧م، ص٧٥ وما بعدها .

(٢) رواية " هاتف المغيب" ،ص٧١ .

زمن، أو ظاهرة نادرة الحدوث أو ميلاد طفل أو موت عزيز...[١] ، فالزمن هنا كالينبوع المتدفق بالخصوبة والنماء والأصالة والبركة، فامتداده ليس له بداية ولا نهاية، ومن الممكن أن يكون ذلك مقصودًا من الراوي؛ حتى يصل بالقارىء إلى نقطة الانطلاق المجهولة طوال روايته، وكان الشاعر موفقًا في استخدام المعادل الموضوعي الرمزي في هذه الرواية؛حيث جعل المتلقي يعيش في نفس الأجواء الغامضة المحيرة التى يعيش فيها الكاتب ببراعة وحرفية، متأثرًا في ذلك بعمق الأحداث وخفائها ورمزيتها.

الزمن النفسي

"الزمن النفسي عنصر مهم في الرواية، يرتبط كثيرا بالشخصية، فهي التي تعيشه حين تتأمل الحاضر، أو تتذكر الماضي، أو تستشرف المستقبل، ويعتمد الزمن النفسي في الرواية على التذكر والسهو والهذيان والمونولوج، ويصور معاناة الإنسان في العالم، ويعكس أحيانا حالات الفرح والسعادة "[٢] .

ويمثل الزمن النفسي للغيطاني في بعض رواياته معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى الخوف والترقب تارة، وإلى دنو أجله تارة أخرى، وإلى الابتعاث والتجدد تارة ثالثة ...

ونلمس استخدام الغيطاني للزمن النفسي بوصفه معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى الخوف والترقب، من خلال قوله في روايته "**هاتف المغيب**"" **إنني أول ما واجهت الموت زمن غضاضتي الأول، عندما كنت أسبق بعض الصبية جريًا، قبل أن يلحقني ما أقعدني ونال مني، عصر يوم علا صراخ من البيت المجاور، لزمت**

(١) المرجع السابق، ص٧٩ .

(٢)مقال دلالات الزمن النفسي في رواية اللاز للطاهر وطار، منيرة شرقي، مجلة المدونة، جامعة تبسة،https://www.asjp.cerist.dz/en/article/8787 ، تاريخ الزيارة ٢٠/ ١٠/ ٢٠٢٣م ص١٢٠ .

مكانى خوفًا ورهبة، قال أبي حزنـان: إن الشيخ حسن بن علـى الفزاري طلـع منـه السر الإلـهي، لم أفهم ماذا يعني؟ لـم يطف الغيـاب الأبـدي بـذهني قط حتـى بدايـة عقدي الثالث وإذ أصغى إلى حديث الموت يداخلني يقين أنـه مدرك الكافـة عداي لكنني عرفت الخوف من الفقد،... خوف غامض يرجف قلبي" (١) .

فالكاتب يعود بنا إلى زمن فات منذ صغره ويقص لنا مدى ألمه النفسي وما حاك في صدره منذ زمن الطفوله بعد غياب الشيخ "حسن" غيابًا أبديًا، الذي لم يكن يدركه الغيطاني ولم يعرف طبيعته، فاستعمل الكاتب من الزمن النفسي الذي يعبر عن ذاته ومشاعره معادلًا موضوعيًا، يرمز به إلى حالته النفسية وما أصابه من الخوف والرعب واضطراب قلبه من الموت .

فوفق الكاتب في استخدامه للزمن بوصفه معادلًا موضوعيًا رمزيًا من خلال تعبيره عن نفسه وذاته ومشاعره وخوفه الذي سيطر عليه من الزمن الماضي، فالخوف الذي يعبر عنه الكاتب خفيٌ غامضٌ، يجعل قلبه يرتجف دون رحمة أو شفقة؛ دلالة على حيرته واضطراباته النفسية .

واستمر في استخدامه للمعادل الموضوعي النفسي؛ للتعبير عن مدى خوفه ورعبه الغامض من الموت فيقول" **أذكر خوفي الغامض في صباي، ألا ترجع الشمس مرة أخرى، فيدوم الليل المسكون بالجن، وأرواح القتلى أبدًا ....**" (٢) .

فكما نلحظ يعود بنا الكاتب إلى زمن مضى وانتهى؛ ليشاركنا حالته النفسية وقتئذ، ويرمز إلى الخوف الذي سيطر على مشاعره ونفسه، فكان دائم التفكير في الطبيعة القاتمة وفي الموت وانتهاء الأجل .

(١) رواية :هاتف المغيب" ص ٢٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥٧ .

"ويعد الفجر عنده أهم الأوقات؛ لأن فيه يحدث اقتران البداية والنهاية في الحياة والموت فمعظم الأحداث الجسام في الرواية حدثت فجرًا كما كان يأتيه الهاتف فجرًا "[١] .

"**ارتبط الفجر في ذهن وذكريات بطل الرواية "أحمد بن عبدالله" بالموت والحياة..بموت أبيه وأمه ...وميلاد كثير من معارفه... ارتبط الفجر في فكره ووجدانه بالحرب وطلب العلم، ومطالعة آيات العالم من جمال وتفرد، ورؤية جبال وبحار وأنواع** "[٢] ، فجاء الفجر في رواياته معادلًا موضوعيًا للزمن يرمز به إلى نفسية الكاتب ومشاعره، ويوضح لنا الكاتب من خلاله مجموعة من الأحداث التى أثرت في نفسه؛ ليشاركنا معه إحساسه وعواطفه .

وفى رواية "**الزيني بركات**" عندما يصف حالة من الفلاحين سجناء مكبلين بالسلاسل، منساقين إلى الإعدام، تتملكه حالة من الرعب والخوف الذي يهز كيانه ووجدانه، ويسيطر على عقله هاجس الموت ودنو أجله يقول" **خوف موغل في الأعماق، في الطريق على مهل أليم مضى طابور من السجناء مربوطين من أعناقهم بسلاسل حديدية، يبدوا أنهم متجهون إلى سجن بعيد.....دق طبل بعيد، ربما يغادر الفلاحون عالمنا بعد قليل، مشيت قربهم، عيونهم زائغة ...أن يعلم الإنسان أنه بعد خطوات، بعد مسافة زمنية معينة، لن يفتح عينيه أبدًا، تضيع منه المعالم والأشياء ربما أموت بعد لحظة، أجهل هذا، لكن أن أعرف**

(١) بنية الزمن الروائي عند جمال الغيطاني (هاتف المغيب)، أنموذجًا، د/ إيمان فتحى زكريا، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد الخامس والعشرون، الجزء الثانى، أكتوبر ٢٠١٧م، ص٨٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

تمامًا، أعرف بمفارقتى الدنيا في لحظة معينة،.... مشيت وفي نفسي خوف، كل ما رأيته يجسد رعبًا"(١) .

فالكاتب جعل من الزمن معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى ما يدور في نفسه من الخوف والرعب من لحظة آتية لا محالة وهي خروج الروح "ربما أموت بعد لحظة" فمشاعره في اضطراب حتى أنه لا يعي ما يقول، فعندما رأى هؤلاء وكأن الزمن عاد به إلى الوراء من شدة الأمر وهول الموقف، (ربما أموت بعد لحظة أجهل هذا، لكن أن أعرف تمامًا.....) فكل ما يمر بالكاتب يمثل رعبًا، لكنه يدل على أمر مؤكد وواقعي، أن الموت قادم لا محالة، وهذا يدل على توفيق الكاتب في استخدامه الزمن النفسي بوصفه معادلًا موضوعيًا؛ حيث جعلنا نشاركه هذا الخوف والرعب، ونعود بالزمن معه إلى الوراء ، بأسلوب أكثر دقة وتأثيرًا .

الزمن الحاضر:

حاول الكاتب المزج بين الماضي والحاضر في بعض رواياته، فعلى سبيل المثال شخصية الزيني بركات بطل الرواية السابقة، استخدم الكاتب المعادل الموضوعي الرمزي للزمن؛ ليرمز به إلى الحاضر، فكل تفاعلات الرواية وأحداثها وأبطالها جاءت، معادلًا موضوعيًا يرمز ويشير في خفاء وترقب إلى الواقع العربي وما يدور فيه من تحولات وأحداث... فيقول مصورًا مشهدًا واقعيًا مؤثرًا حاضرًا أمام عينيه واصفًا هؤلاء الفلاحيين "**مشيت قربهم، عيونهم زائغة، يتمنون لو احتووا كل ما يمر بهم، نفس ما رأيته في طنجة، مجموعة رجال يعبرون أسوار المدينة البيضاء، مشدودين إلى بعضهم البعض برباط الهلاك الأبدي، في العيون نفس النظرة، هذا الرجل المسوق إلى الإعدام في تلك الجزيرة**

(١) رواية الزيني بركات، الغيطاني، ص١٤ .

الصغيرة بالمحيط الهندي، يرجو من الناس إعادة النظر في أمره، العينان تقولان المعنى نفسه...."[١] .

فالكاتب ربط موقفًا ماثلًا أمام عينيه، بموقف استحضره من الزمن الماضي، نفس المشهد يتكرر بقسوته وألمه، فجعل من الزمن الحاضر معادلًا موضوعيًا للزمن الماضي؛ ليرمز بذلك إلى الواقع الأليم الذي تعيش فيه الشعوب على مر الأزمان .

وفي روايته " **أوراق شاب عاش منذ ألف عام**" نراه يعبر عن واقعه، فيرسم صورة رمزية مازجًا بين الماضي والحاضر، فيقول" **تسلل اللون الرمادي القاتم في خبث إلى الفراغ، غرقت البيوت القديمة، في صمت ما بعد الغروب، أسرع المارة إلى بيوتهم، حامت في الشارع رائحة شيء يحترق في مكان ما .... قديمًا نصحني صديق أن أتمضمض بالشبة لأزيل ألم أسناني، كان الطعم مرًا قاسيًا مثيرًا للقيء، لكنى مضغته فى بطء، جف حلقي**" "[٢] .

ولعلنا نلحظ أن المعادل الموضوعي ظاهرٌ جليٌ؛ حيث استخدم الكاتب الزمن الحاضر معادلًا موضوعيًا، يرمز به إلى واقع اجتماعي وتاريخي من القهر والظلم وتكميم الأفواه، ونراه مزج بين هذا الواقع وبين ماضٍ كان أشد قسوة ومرارة، وعبر عنه بطعم الشبة التى يتمضمض بها، فكان الطعم مرًا قاسيًا، وهكذا الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه أشد قسوة ومرارة، لكنه يعيش في هذا الواقع ويتجرع ألمه داخله، وكان موفقًا في قوله "**لكني مضغته في بطء، جف حلقي**" ليدل بذلك على أنه مجبر أن يعيش وهو يتجرع الأسى والحسرة، يستغيث

(١) رواية الزيني بركات، الغيطاني ، ص١٤ .

(٢) رواية" أوراق شاب عاش أكثر من ألف عام" ص١٣ .

ولا مغيث، حتى جف حلقه، فجعل من الماضي قناعًا يتستر به ويبث من خلاله آلامه وأحزانه على واقعه .

والمتأمل في هذه الرواية يلمس أن المعادل الموضوعي قام على الرمز من بداية الرواية إلى نهايتها بدءًا من العنوان، ومن المعلوم أن الرمز منبع فياض للأديب يستقي منه ما يشاء، ويوظفه في نصه بطريقة فنية مكثفة بالدلالات والتأويلات، باعتباره وسيلة فنية لتحقيق هدف معين، أو ليكون قناعًا للأديب يتخفى وراءه؛ ليبوح بما لا يستطيع البوح به بطريقة تقريرية فاستخدم الرمز في روايته؛ ليصور لنا طاقة فنية من طاقات التعبير الفنى، والتشكيل اللغوي، ومدخل مهم من مداخل النص الروائي، ومن أهم العوامل التي تجعل الكاتب يلجأ إلى استخدام الرمز هو العامل التاريخي والاجتماعي؛ حتى لا يتعرض لاضطهاد المجتمع وبطشه، أو الوقوف ضد التيار؛ فيتخذ من الرمز ستارًا وقناعًا، يعبر به عن سلبيات الواقع [١] ..

ويتحدث الكاتب عن همومه ومآسيه فيبثها في الصباح الذي يحمل بين طياته هموم الكاتب وآلامه، بالرغم من أنه دائمًا يرمز إلى السعادة والتجدد والاستمرارية، إلا أن الكاتب جعله زمنًا يدل على نفسيته البائسة الحزينة يقول في روايته "أحراش المدينة": "**رائحـــة الصباح تحمل إلى صدرى الأسى، العاشرة وما قبلها أدور في شوارع المدينة، الشمس لها طعـــم، وخطوات الناس ومشيهم والعربات طعم مر...**" [٢] الشاعر جعل من الصباح معادلًا موضوعيًا للزمن الحاضر؛ ليرمز إلى حزنه وألمه ومرارة أيامه التى يشعر بها كل صباح في الحاضر وفي المستقبل، فصور الغيطاني الصباح وهو يحمل إلى صدره الهم

(١) ينظر: المعادل الوضوعي في شعر د/ زهران جبر، دراسة نقدية تحليلية، ص٤٠٤٧-٤٠٤٨ بتصرف .

(٢) رواية أحراش المدينة، جمال الغيطاني، ١٩٦٢م، ص١٩ .

والأسى، وحدد الوقت في العاشرة وما قبلها وهو يدور في شوارع المدينة، وكل ما مر به تذوق طعمه بمرارة وأسى، فنراه رسم صورة إيحائية توضح ما يدور في نفسه من مرارة، ولعله يرمز إلى آفة اجتماعية تنتشر داخل المجتمع الذي يعيش فيه .

ومن الواضح من خلال هذا العرض أن المعادل الموضوعي الزمنى عند الغيطاني لا يعني الزمن المجرد الخالص ..زمن الساعة.. بقدر ما يعني الزمن الذي يشعر به، الذي يعني شيئا ما بالنسبة له، فالزمن عنده زمن شعورى مرتبط بمكان، وهذا ما يتضح من تعبيره عن لحظة إدراكه الزمن[١] بقولـــــه: "**اعلم يا أخي الكريم، أنني رغم انشغالي هذا منذ الطفولة إلا أن إدراكي الأعم بما انقضي لم يبدأ إلا بعد اكتمال عقدي الثاني تقريبًا، في الطفولة والصبا لا يكون هناك إلا حاضر غير متصل في الوعى المدرك بما قبله أو بعده إلا فيما ندر، لكن مع التقدم حثيثًا في الزمان، تكتمل شيئًا فشيًا...**"[٢] .

فاعتمد الغيطاني على الزمن، واستطاع بعبقريته أن يوظفه توظيفًا فنيًا من خلال استخدامه وصفًا للمعادل الموضوعي؛ ليرمز به إلى ما يدور بداخله، وما يختلج في صدره، من مشاعر عميقة مختلطة.

(١) بنية الزمن الروائي عند جمال الغيطاني (هاتف المغيب)، أنموذجًا، د/ إيمان فتحى زكريا، ص٨٣.

(٢) رواية هاتف المغيب، ص٢٣٢.

المبحث الرابع:
المعادل الموضوعي للمكان
في روايات الغيطاني

المبحث الرابع

"المعادل الموضـــوعي المكاني"

يعد المعادل الموضوعي الرمزي من أهم تقنيات السرد في الأدب، وهو مصطلح يشير إلى استخدام العناصر الموضوعية في العمل الأدبي لترمز إلى معانٍ أخرى غير مادية.

فالمكان هو "الإطار الذي تقع فيه الأحداث"(١)، وهو تعريف واضح ومحدد لطبيعة المكان إلا أنها تغفل الإشارة إلى طبيعة هذا الإطار ومكوناته في صياغة عنوانها على الرغم من أنها في أثناء معالجاتها الإجرائية لا تغفلها إذ استوفت اطر المكان وانعكاساته الزمنية والنفسية والتاريخية وغيرها(٢).

" ولا شك في أن المكان له دلالاته ورمزيته الخاصة في الأدب، وقد اهتم كثير من الأدباء الذين نهلوا من المعين الإبداعي وغرفوا من مصطلحاته، بالأمكنة، ومن هؤلاء الروائي المصري جمال الغيطاني الذي اهتم بمنح المكان دلالات مختلفة، وأبعادًا روحية عميقة، فهو من الذين عملوا على استنطاقه من أجل البوح بأسراره، ويبدو ذلك الأمر واضحًا في روايته «شطح المدينة»، ذلك السفر الملحمي المميز المحتشد بالرموز والإشارات والحكايات الغرائبية، والأسرار العجائبية. "(٣) .

فنجد مثلا رواية "**شطح المدينة**" هذه الرواية تعد نموذجًا للفانتازيا التي تمتزج بها القضايا الواقعية بالمعادل الرمزي من خلال صراع في عوالم مدينة

(١) بناء الرواية – سيزا أحمد قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٤ – ص ٧٦ .

(٢) ينظر: الفضاء الروائي جبرا إبراهيم جبرا – د. إبراهيم جنداري بغداد ط١ – ٢٠٠١ – ص ١٧٠.

(٣) مقال بعنوان: شطح المدينة،حياة الزاهد، تأليف /علاء الدين محمود، مجلة الخليج، نشر بتاريخ ١٩ أبريل ٢٠٢١، تمت الزيارة بتاريخ ١٥ /١٠ /٢٠٢٣م .

يقودها مجموعة من البشر غير المرئيين يسيِّرون العباد في (الجامعة) بطرق لا يتخيلها العقل، وهي بذلك تدور حول عمل سياسي من الدرجة الأولى، فتتميز الرواية بأسلوبها الرمزي الذي يعتمد على المعادل الموضوعي لتصوير الأفكار والمشاعر العميقة التى يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي، مستخدمًا في ذلك الأسلوب الساخر الذي يحمل معادلًا موضوعيًا رمزيًا.

فجاءت(**الجامعة**) رمزًا للفساد وعدم المساواه، ودليلًا على تكميم الأفواه، فنراه يصف رئيس الجامعة بصورة رمزية ساخرة مليئة بالمتناقضات يقول" **تولى أمر الجامعة عالم كبير بمقاييس عصره، اشتهر أمره في علم الفلك والأرصاد .....أنه كتب أعمال شكسبير كاملة على حبة أرز، وخط الكتاب المقدس على بيضة حمامة فارغة ..... " ويستمر في استخدام هذا الأسلوب الساخر طوال روايته** " [١] .

فنلحظ أثر المعادل الموضوعي على نفس الكاتب وعواطفه من خلال إثارة الخيال والإبداع. فالكاتب استخدم المعادل الموضوعي في تشبيه رئيس الجامعة بالعالم النحرير الماهر في جميع الفنون، ثم تحول هذا المدح إلى سخرية وذم، فجعل من المتناقضات معادلًا موضوعيًا رمزيًا للأمر الظاهر وهو العدالة والمصداقية التى تفوح في الجامعة، وبين أمر خفي رمز به الشاعر إلى الفساد الذي يخفيه المسئولون عن العامة وفي ذلك يحاول الكاتب من خلال المعادل الرمزي المكاني في روايته أن ينقل أفكاره ومشاعره إلى القارئ بطريقة أكثر إبداعًا وإثارة وتشويقًا.

(١) للمزيد ينظر : رواية شطح المدينة، ص٢٥ وما بعدها.

**** المعادل الموضوعي (للمدينة)**

استخدم الغيطاني (المدينة في معظم رواياته بوصفها معادلًا موضوعيًا رمزيًا للمكان) وتعددت دلالته في كل رواية، ونجد ذلك واضحًا في رواياته "شطح المدينة" والزيني بركات، و"الرفاعي" ... .

** ففي رواية " **شطح المدينة**"، ترمز المدينة القديمة إلى الماضي الجميل والقيم التقليدية التي بدأت في الاندثار، فاستخدم المدينة معادلًا موضوعيًا يرمز للصلاح والتقوى والأصالة والتراث؛ ليبرز بذلك عيوب الجامعة، فيقول واصفًا بعض الأماكن في المدينة: "**هذا مبنى قديم، لم يلحقه التغيير إلا تغيير طفيف، عمره حوالي سبعة قرون، أنشئ كمحط لخيول البريد، والرحالة، والأغراب، مات آخر مالك له في القرن التاسع عشر...**"[١] فالبطل يعشق المدينة القديمة، ويرفض التخلي عن عاداته وتقاليده، فهو يرى أن العالم الحديث قد فقد قيمه الأصيلة، ومعالمه التقليدية التراثية، وساعده ذلك على إثارة مشاعر الحنين والذكريات للماضي التليد، فالكاتب استطاع من خلال استخدامه للمعادل الموضوعي الرمزي أن ينقل مشاعره إلى القارئ بطريقة أكثر إبداعًا وإثارة ورغبة وتشويقًا، وأكثر عمقًا وتأثيرًا.

** وفي رواية "**الزيني بركات**" يستخدم الغيطاني "المدينة" معادلًا موضوعيًا يرمز إلى الفساد والظلم، وهذا يساعد على التعبير عن أفكار الكاتب حول واقع مصر في مدة زمنية من القرن الماضي، كما أن الكاتب استخدم الرمزية التي يمكن إسقاطها على الحاضر، فكل تفاعلاتها وأحداثها وأبطالها هي معادلٌ موضوعيٌ يرمز للواقع العربي الأليم يقول: "**أرى وجه المدينة مريضًا**

(١) للمزيد ينظر : رواية شطح المدينة ، ص١٩٩ وما بعدها.

يوشك على البكاء، إمرأة مزعورة تخشى اغتصابها آخر الليل، حتى السماء نحيلة زرقاء، صفاؤها به كدر، مغطاة بضباب قادم من بلاد بعيدة....." (١) .

فكل لفظة من الألفاظ السابقة استخدمها الكاتب بوصفها معادلًا موضوعيًا للظلم والفساد وعدم الأمان في المدينة، وشعور قاطنيها بالغربة، والكبت، وعدم الحرية، فاعتمد الكاتب في روايته إلى تقنية الوصف، واستطاع من خلال الرمز المكاني أن يسلط الضوء على ما يدور في المدينة بطريقة موجزة مؤثرة، تساعد على انفعال المتلقي بالأحداث أولًا، وتأثره بما يدور في عقل الكاتب ثانيًا، فكان موفقًا في ذلك؛ لأن استخدامه للمعادل الموضوعي الرمزي للمدينة منح الرواية قيمة فنية إلى جانب قيمتها التاريخية .

** وفي رواية "**أوراق شاب عاش منذ ألف عام**" انشغل فيها الغيطانى بإحياء التراث المصرى الإسلامى، واستخدم "المدينة" معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى الضعف والهوان والواقع العربي الأليم ويصور سلبيات المدينة بما لها وما عليها، فنراه استنطق التاريخ الذى رأى فى أحداثه تشابهًا مع ما عاشته مصر فى الستينيات في القرن الماضي، حيث الظروف نفسها والنهاية ذاتها، يقول: " **كانت مدينتي مظلمة تمامًا، المباني الكبيرة أشباح هائلة لا تفصح عن تفاصيلها، كان الصمت مستكنًا في الزوايا والأركان لا انفجارات،...صمت مضن مرهق منذ الظهيرة، لمح أحد الزملاء شعلة ضوء في نافذة علوية ..... عندئذ صحنا طفوا النور..... طفوا النور .... لكن الصمت كان قاسيًا.** (٢) .

(١) ينظر: رواية الزيني بركات، جمال الغيطاني، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ص٧ .

(٢) ينظر: أوراق شاب عاش منذ ألف عام، جمال الغيطاني، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ص١٠ .

فالشاعر استخدم "المدينة المظلمة" بوصفها معادلًا موضوعيًا يرمز إلى الضعف التام والهوان المسيطر على المدينة، فاستطاع من خلال الرمز المكاني أن يسلط الضوء على ما يدور في المدينة بطريقة موجزة مؤثرة، فاستخدامه للعبارات الرمزية" مدينتي مظلمة"، المباني أشباح هائلة، صمت مرهق....."، ساعدت على انفعال المتلقي بالأحداث أولًا، وتأثره بما يدور في عقل الكاتب ثانيًا، فكان موفقًا في ذلك؛ لأن استخدامه للمعادل الموضوعي الرمزي للمدينة المظلمة منح الرواية قيمة فنية إلى جانب قيمتها التاريخية .

***المعادل الموضوعي (للريف)**

استخدم "الغيطاني" " **الريف**" بوصفه معادلًا موضوعيًا يرمز إلى الهدوء والخير والنماء؛ ويؤكد من خلاله على أهمية الحياة البسيطة والعفوية التى يؤمن بها، كما يعتقد أن الإنسان يجب أن يرفض الحضارة ويعود إلى جذوره، فجاء الريف ليساعده على الحفاظ على هذه القيم التي يؤمن بها، كما ساعد رمز الريف على خلق عالم فني خاص بالروايات الغيطانية، مما جعلها أكثر جاذبية للقارئ. فالريف مكان نقي وصافٍ، يرمز إلى الابتعاد عن صخب المدينة ومشاكلها، وهذا يخلق جوًا من الهدوء والراحة للقارئ، ويثير مشاعر الحنين لدى المتلقي، خاصة إذا كانت نشأته في بيئة ريفية، وهذا يساعد على ربط القارئ بالرواية ويجعلها أكثر تأثيرًا فيه.

** ففي روايته "**المصريون والحرب من صدمة يونيو إلى يقظة أكتوبر**

"يستخدم الكاتب الريف معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى الثراء والنماء والحياة، فالأرض عنده هي منبع للخير؛ لذلك يرتبط بها الفلاح الأصيل ويخاف عليها كخوفه على عرضه من الدنس فيقول: "**الارتباط الشديد بالأرض ملمح أساسي من ملامح الإنسان المصري، باعتباره مصدر الحياة، والكفيلة باستمرارها،**

والخوف والحرص على الأرض يعادلان الحرص والخوف على العرض....." [١] فـي هـذا المثـال، يسـتخدم الغيطـاني الريـف متمـثلًا فـي أرض الفـلاح معـادلًا موضـوعيًا؛ يرمـز بـه إلـى الحيـاة البسـيطة والعفويـة أولًا، وعلـى قيمـة الأرض ومكانتها عند أهل الريف ثانيًا؛ وليرمز به إلى حب الأرض وأنها مصدر الخير والنمـاء والـرزق، كمـا أن شـعور الفلاحـين بقيمـة الأرض؛ يرمـز إلـى رفضـهم للحضارة وحفاظهم على التراث والأصالة .

** وفي رواية "**الرفاعي**" يستخدم الغيطاني الريف معادلًا موضوعيًا يرمز للدلالـة علـى الحيـاة البسـيطة والعفويـة، وهـذا يسـاعد علـى التعبيـر عـن مبـادئ الكاتب وارتباطه بجذوره التراثية الأصيلة".

كمـا يمكننـا القـول: إن رمـز الريـف فـي روايـة "**الرفـاعي**" تعـد تعبيـرًا عـن مشـاعر الكاتـب تجـاه الماضـي الجميـل والقيـم التقليديـة والأصـالة والوطنيـة فهـو يعشـق القـرى القديمـة بريفهـا الجميـل، وفلاحيهـا البسـطاء، فقـد خـرج منهـا جنـود يدافعون عن البلاد بكل حماس وقوة فيقول" **يمضي الطريق إلى مركز السماء في المقعد ذاتـه يجلس الرفاعي عاقدًا يديـه أمـام صدره.....آخر من رآهم قبل التوغل في الصحراء مجموعة من الفلاحين أمام دكان صغير..... فالرفاعي يتذكر الآن هؤلاء الفلاحين الذي رآهم عند خروجه من المدينة يستعيد آخر من رآهـم يسـعون عبـر الطرقـات أو يخطـون فـوق الأرصـفة الملامـح المرهقـة الاستسـلام الغريـب، الضـحكة الضـائعة، والنظـرة الـولهى مـن عينـى مجهـول، وشظايا عبارات متطايرة، بيوت مسكونة بالأسرار والماضى.....**"[٢]

(١) للمزيد ينظر : رواية المصرين والحرب من صدمة يونيو إلى يقظة أكتوبر ، جمال الغيطاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١٦م، ص٣٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: رواية الرفاعي،جمال الغيطاني، دار الشروق، ص٣٦٦ وما بعدها.

- فجاء" الريف "هنا؛ معادلًا موضوعيًا يرمز للوهن والضعف وقلة الحيلة، والمحافظة على التقاليد المتوارثة منذ القدم، ولعلنا نلحظ ارتباط هذا المعادل الموضوعي بنشأة الكاتب ارتباطًا وثيقًا فهو نشأ في بيئة ريفية، وعاش طفولته في مجتمع تقليدي صعيدي، يؤمن بالقيم الدينية والخلقية التي كانت سائدة في مدينته؛ لذلك نقل إلينا تجربته وعاطفته بدقة وسلاسة، وجعلنا نعيش معه ألم الفراق لهذه المدينة الريفية المهضوم حقها، ومنحنا الشعور بهؤلاء الفلاحين وما يدور في عقولهم من وطنية وحماس، وذل وألم من الأحداث المحيطة بهم.

وأرى أن استخدام الغيطاني للمعادل الموضوعي المكاني في هذه الرواية" كان موفقًا للغاية، فقد ساعد على إثراء الرواية وجعلها أكثر تعبيرًا عن الأفكار والمشاعر التي يحاول الكاتب التعبير عنها، كما أن المعادل ساعد على خلق عالم فني خاص بالرواية، مما جعلها أكثر جاذبية للقارئ.

ومن هنا يمكن القول: إن استخدام المعادل الموضوعي في الرواية ساعد على إثراء العمل الأدبي وجعله أكثر إبداعًا وتأثيرًا، فالرمز المكاني نقل أفكار الكاتب ومشاعره بطريقة أكثر عمقًا وإثارة، وساعد على خلق عالم فني خاص بالرواية، كما أن استخدام المعادل الموضوعي ساعد على فهم العمل الأدبي بصورة أفضل، واكتشاف الأفكار والمشاعر الخفية التي يحاول الكاتب التعبير عنها بدقة وعمق: **أضف إلى ذلك** أن استخدام المعادل الموضوعي المكاني ساعد على ربط العمل الأدبي بالواقع ببراعة فائقة، وربط الواقع بحياة الأديب والقارئ ربطًا دقيقًا .

****المعادل الموضوعي (للبيت) .**

دائما البيت "هو نوع من المنطقة الآمنة التي تؤهّل المرء؛ لأن يتعثّر ويقف على رجليه، وتسمح له بأن يخطئ من دون أن يقع في الهاوية، أن يخطئ ويتعلّم من خطئه وينهض مجددًا، لأنّ جزءًا من الأنا موزّع في الآخرين وفي

الجماعـة التـي تمكّن المرء من أن يلمّ أشلاءه المتناثرة ويصوغ نفســيـــته من جديد [١]" .

وعلـى الرغم من ذلك نجد "الغيطـاني" عكس هذه الرؤيـة المعهودة للبيت فنجده مثلًا في روايـة "**الزينـي بركـات**"، يستخدم البيت معادلًا موضوعيًا يرمز بـه إلى الخوف والتهديد، فالبيوت مرعوشة ومغلقة، لا يشعر أهلها بالأمان، وبالرغم من أن هذا المعادل الرمزي للبيت، جاء على خلاف الحقيقة المعروفة عن البيت الذي يرمز في العادة إلى الدفء والأمان والحنان، إلا أنه جاء موافقًا للأحداث التاريخيـة الواقعيـة، فالغيطـانى؛ اسـتخدمه بوصـفه معـادلًا رمزيًـا لحقبـة تاريخيـة عاشت فيها البلاد فترة مخيفة سياسيًا، واجتماعيًا، وتاريخيًا، كما أن هذا المعادل جـاء تعبيرًا عن نفسية الكاتب ومـا يـدور فـي خلده، فنفسـه الهادئـة تحولـت مـن الهدوء إلـى حالـة من الترقب والخوف؛ بسبب الإقطـاع والاحتلال، يقول" **بيـوت المدينـة كلها مغلقة، مرعوشة تود لـو تـوارت، تنفـي إلـى الأمـان المرجـو، شموع بيتـي مطفـأة، أخشـى تـراقص الضـوء فـي أحضـان العيـون المتلصصـة...**[٢] ." فالكاتب يعبر عن حقبة تاريخية سيطر خلالها الخوف والرعب على الأهالي، ولم تسلم بيوتهم من هذا الخوف، فسيطر الرعب على بيوتهم، مثل سيطرته على قلوبهم وعقولهم، فاستطاع الكاتب إيصـال غرضـه وفكرتـه إلـى المتلقـي بصـورة مكثفـة قويـة مـؤثرة وفاعلـة، وسـاعده علـى ذلـك المعـادل الموضـوعي الرمـزى المكـانى؛ الـذي منحـه إيصـال فكرتـه إلـى المتلقـي بطريقـة رمزيـة بارعـة، دون التصريح بفكرته مباشرة.

(١) رواية الزيني بركات ، ص٨ .

(٢) ينظـر: روايـة الزينـي بركـات، جمـال الغيطـاني، دار الشـروق، الطبعـة الأولـى ١٩٨٩م، ص٩-١٠ .

- وفي رواية "الرفاعي"، يستخدم الكاتب البيت معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى الضياع والاغتراب وقلة الحيلة والضعف والعجز، يقول: "**ها هي البيوت غارقة في النعاس، شبان يرتدون لباس المقاومة، يقفون مجهدين، بأيديهم مصابيح يدوية، لكن لا سلاح، لنفترض أن دورية معادية فاجأت هؤلاء، كيف سيقاومونها.....**"(١) .

فالكاتب هنا يستخدم البيوت معادلًا موضوعيًا؛ يرمز إلى به إلى الضعف، والتعب والمشقة وقلة الامكانيات التى تساعد هؤلاء على الدفاع عن أنفسهم وبيوتهم وبلادهم، وأصبح الأمر متحجرًا حتى أصبحت البيوت رمزًا لعجز هؤلاء البشر، ولا غرو في ذلك فالكاتب يصور حقبة زمنية واقعية معينة من تاريخ مصر، فيصف حالة الثورة التي يعيشها الشعب المصري في فترة السبعينيات من القرن الماضي.

ويستخدم جمال الغيطاني المعادل الموضوعي للأماكن الرمزية في رواياته؛ لخلق جو غني بالدلالات والإشارات الخفية، فتمكن من التعبير عن أفكاره ومشاعره وعواطفه بطريقة أكثر كثافة وتأثيرًا وخفاءً وتشويقًا؛ لتعكس رؤى الكاتب حول العالم المحيط به.

**** المعادل الموضوعي (للسجن).**

في روايته "**الزيني بركات**" نراه يتخذ من "السجن" معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى الظلم والقهر السياسي، إلى القسوة والشدة والبطش بالأبرياء، فيأخذ المسئول الشخص الذي يرضى عنه ويضعه في زنزانة بشعة تحت الأرض، دون أن يقترف إثمًا أو ذنبًا فيقول على لسان "زكريا بن راضي": "**في أي وقت أو مكان، هل حال أمر بينه وبين ما يجري النفاذ إلى الأحداث، الصغير منها**

(١) رواية "الرفاعي" ص٤١٧ .

والكبير الآن بالذات يحاول تلمس الأسباب، أول الليل نزل إلى السجن الصغير، المدفون تحت البيت، تقدمه المشاعلى مبروك، لا يذهبان إلى السجن إلا نادرًا مرات قليلة خطا فوق الممر المعتم الضيق في نهايته تجاويف صغيرة في الجدران الرطبة المبللة اللزجة، تضيق الفجوة بقامة الإنسان، السجين يضطر إلى إحناء ظهره عند الوقوف حتى لا يصطدم رأسه، بالسقف غير المستوى، لا يمكنه تلفت أو تقلب أو قعود، أو النوم متمددًا لضيق المكان، وبسبب المياة التى يرشها مبروك الأخرس عدة مرات كل نهار، يحافظ على منسوب ارتفاعها فوق الأرضية اللزجة المبللة"(١) .

فوصف الكاتب "**السجن**" بصفات تدل على الظلم والاضطهاد والتعسف، وسجن الضعفاء دون وجه حق دون رقابة أو أدنى مسئولية؛ فاستخدم من السجن معادلًا موضوعيًا لاضطهاد الشعب وجبروت المسئولين وظلمهم؛ وليرمز بذلك إلى انتشار القمع والاستبداد من خلال الإسقاط التاريخي الذي برع فيه، مقنعًا القارئ بفكرته بأسلوب أكثر عمقًا وتأثيرًا وانفعالًا، ثم يتابع وصف معالم الظلم والاستبداد وجبروت القوى وبطشه بالضعيف، فيصف كيف عامل "زكريا بن راضي" هذا السجين الضعيف، ثم يستطرد في الوصف لتكتمل الصورة فيقول "**قبل ذهاب النهار طلب من مبروك إخلاء التجاويف من كافة السجناء، جميعهم لا يدري أحد بوجودهم، لم يصدر مرسوم بإمساكهم، زكريا لا يدري ما تحمله الساعات الآتية، لا يأمن أبدًا مهما استقرت الأحوال... "**(٢)

وفي هذا النص يدلل الكاتب على الظلم والقمع والاستبداد، فهؤلاء المساجين لم يصدر مرسوم بحبسهم؛ فسجنهم كان ظلمًا وبهتانًا، ولأغراض

(١) رواية "الزيني بركات" ص٣١ .

(٢) السابق ص٣٢ .

شخصية تخدم كبير البصاصين، دون أدنى رقابة عليه من المسئولين، أضف إلى ذلك أنهم سُجِنُوا فترة زمنية كبيرة حتى نساهم كبير البصاصين"، ووفق الكاتب في ذلك؛ لأنه استطاع أن يتخذ من المعادل الموضوعي للأماكن؛ رمزًا لمرحلة تاريخية عصيبة مرت بها البلاد، اختفت فيها العدالة والأمن والاستقرار، وحل محلها الظلم والقهر والمحسوبية والاستبداد.

ويؤكد على الظلم والقهر الذي يلاقيه المسجون في سجنه، ففي روايته "ملامح القاهرة في ألف عام" نجده يصور السجون بأقذر الأوصاف فيقول "**إلى هذا السجن الفظيع دفع بالأمير شيخ المحمودي، وضعوه في إحدى الحفر القذرة، قيدوا يديه وساقيه وعنقه بسلاسل حديدية مثبته في الحائط، وكان الظلام كثيفًا، والروائح كريهه، وربما تأمل شيخ في حالة المماليك وقتئذ، لا يأمن واحد منهم على نفسه، مهما علا قدره، ومهما تولى من المناصب، في لحظة في إغماضة عين ربما تقطع رقبته، أو يلقى في السجون**".(١)

فاستخدم الكاتب من السجن معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى حقبة زمنية مرت بها مصر أثناء الحكم المملوكي، حقبة مليئة بالقهر والاستبداد والظلم، وتكميم الأفواه، والرعب الذي دبَّ في قلوب الشعب، فالأمراء والشيوخ مكانهم السجن، بل الحفر القذرة؛ للتحقير من شأنهم، وقلة حيلتهم وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم فهم مغلولون في السلاسل الحديدية، مكبلون في القيود، مثبتون في الجدران، والسجن شديد الظلام، تفوح منه رائحة كريهة، ربما من القذارة، وربما جثث الأسرى الذين لم يتحملوا كل هذا العذاب والظلم، فالمعادل الموضوعي هنا يوضح الظلم والقهر والاستبداد الذي عاش فيه الشعب في فترة زمنية من تاريخ مصر السياسي.

(١) رواية "ملامح القاهرة في ألف عام، ص٦٣ .

**** المعادل الموضوعي (للقبر)**

يقول فـي روايتـه "التجليـات الأسـفار الثلاثـة ": "**وقفنـا عنـد مـدخل فنـاء مفتوح، أشار أخي إلى مساحة من الأرض مكشوفة بـلا سور، رمـال غامقـة ولا نبـات، لا صـبار أو ريحـان، قـال: إن أقاربنـا أصـحاب المـدفن شـيدا عينـين جديـدتين، لـم يحـددا مسـاحتهما بسـور، أبـي أول الـداخلين، الراقـدين، دنـوت، تلوت، بكيت، ابتعدت، رحلت وعدت، أحاطا بي، قلت لنفسي ولم أقل لمخلوق.. أليس في هذا جور؟ أليس فـي ذلك قسوة؟ هذا العمر، تلك المعانـاة الطويلـة، تلك الأيام والليالي، هل تنتهي هنا وتصبح نسيًا منسيًا،هل يبهت أثره ويضيع خبـره، هنـا؟، هـل سـيكون أن لـم يكـن؟، أمعنـت توغلـــــــت، طلبـت المسعى...**" (١)

فاستخدم الكاتب القبر بوصفه معادلًا موضوعيًا؛ ليرمز بـه إلـى الخـلاص ليعبر عن مشاعر الحزن والأسـى التـي سيطرت عليـه جراء وفـاة والـده، واتضـح ذلك عندما ذهب لزيـارة قبـر والـده، فوجده فـي الرمـال الغامقـة، ليس لديـه نبـات ولا صبار...، يرقص في مدفن جديد، والده أول المدفونين فيه، وعندما وجد ذلك شعر بتفاهة الدنيا، فتلح علـى ذهنـه مجموعـة مـن الأسئلة يطرحها علـى نفسـه؛ لأنها تحمل معنى الإنكار، مثل: أن ما رآه ظلم وجور، كيف تنتهي حياة الإنسان بهذه الطريقة؟، هل يكون وحيدًا ضعيفًا،لا حول له ولا قوة؟، أبَعْدَ كل هذا العمر، وبعد المعاناة الطويلة في الدنيا يصبح الإنسان نسيًا منسيًا؟، فالكاتب من خلال هذا الوصف الدقيق، وهذه الأسئلة العميقة، الذي جعلنا ندرك من خلالها حقيقة الدنيا، فيجعل القبر معادلًا موضوعيًا، يعود من خلالـه إلـى حياتـه الأبديـة الـى يلتقي فيها بأبيه، فيخفف عنه الحزن والألم والخوف من الموت.

(١) رواية التجليات الأسفار الثلاثة ، جمال الغيطاني، دار الشروق ١٩٩٠م ،ص٢٨.

ونلحظ في روايته "**هاتف المغيب**" أنه انشغل كثيرًا بربط الزمان بالمكان وعلاقتهما، ففي الرواية مقاطع عديدة تركز على رصد حالات اضطراب الوعى بالزمن وتأثير ذلك على مسار الأحداث وعلى انفعالات الشخصيات وأفكارها، هذا الوعي المضطرب أو المتغير بالزمن ينعكس بالضرورة على إدراك المرء للمكان، على سبيل المثال يقول "أحمد بن عبدالله": " **إنه رأى غروب الشمس ثلاثًا وخمسين مرة، حتى الآن يجذع ليلًا إذ يستعيد غرائب الأصوات التى ترددت، بعضها مصدره حقيقي يمكن تعيينه، والآخر تكوينات صاغها الفراغ...كان يقتفي أثر المغيب طوال الليل مهتديًا بالنجوم حتى إذا لاحت شرابات الضوء الأولى يتمهل، يرنو إلى القرص البازغ عند الأفق**"(١) .

وفي موضع آخر "جمال بن عبدالله" " **أشرت بإصبعي متمهلًا في نطقي، قلت: أثق أنه ليس البيت نفسه... الفناء الذي كان يبدو رحبًا نسيمًا أقطعه جريًا قبل أن تحل بي المحنة التي أقعدتني، هذا الفناء ضاق على مداه، الغرفة الداخلية التي ولدت بها لم تعد تعني شيئًا أدخلها كثيرًا فلا أذكر ذلك، وإذا خطر لي فكأنما يمت إلى شخص آخر، كأنني أطالع تاريخًا قديمًا يخص غيري، مع غياب أحباب وتلاشي عادات تبدلت الجدران مع أنها لم تهدم وتغيرت الأبواب مع أنها لم تخلع، وتباعدت أو تدانت الغرف مع أنها لم تتحول. لكن .. ثمة ما يستعصي على الرصد، ما لا يمكن أن أعبر عنه بكلمات يؤكد أن المكان ينتقل في ثباته وإن لزمته، يرحل عنك وترحل عنه وإن أقمت فيه عمرك.**(٢)

فنلحظ أن المكان رغم ثبات جدرانه وأثاثه، لكنه يتغير داخل الإنسان بسبب مرور الوقت وبسبب خبرات المعاناة والألم، فعندما يختلف الزمن أو يضطرب

(١) رواية هاتف المغيب، ص ٢٦١ .

(٢) رواية هاتف المغيب، ص٢٣٢_٢٣٣ .

أو لا يكون كما نهوى، أو لم يعد في هذا المكان من نحب عند ذلك يتغير المكان في نفوسنا، لم نعد نألفه ولا نرتاح فيه مثل الزمن الماضي، ومن ثم يلجأ الإنسان إلى الخيال؛ لإيقاف اضطراب الزمان ولتحريك حدود المكان وتوسيعها، لكننا سرعان مانعود إلى الواقع، بكل ما يحويه من ظلم وقهر واستبداد، فالكاتب يسقط الماضي على الحاضر ويؤكد نتيجة أساسية أن الاستبداد والقمع والإرهاب يولدان الظلم والجور واستكانة الشعب وجوعه، وفي نفس الوقت يثير فيهم الثورة المكبوتة والتمرد الداخلي والاستعداد للانتفاضة والتصدي للأعداء؛ لمنع الظلم ونشر العدل .

المبحث الخامس
المعادل الموضوعي للذات وهمومها
في روايات الغيطاني

المبحث الخامس

المعادل الموضوعي للذات وهمومها

يُعدّ المعادل الموضوعي الرمزي ظاهرة نقدية ولونًا من وسائل التعبير، التى يلجأ إليها ذهن المبدع، حين يحتاج إلى التوقد والبحث عما هو أقوى للإقناع، وأقدر على الإدهاش، وذلك حين بات الكاتب عاجزًا عن الإفصاح عما في دواخل الذات من هموم وأحزان.

وقد جاء المعادل الموضوعي كما سبق وأن ذكرنا منبثقًا عن فكرة مؤداها أنَّ الشعر تعبير بالعاطفة الذاتية بوصفه مدخلًا رئيسيًا في التعبير عن التجربة، والهروب من الإفصاح عن العاطفة، والشاعر عندما يهرب من عاطفته لا شك في أنه يعبر عن كوامن ذاته، وخوالج نفسه ووجدانه، فيبحث في واقعه عن ذاته، ويرسم من عالمه المشاهد لوحة لخيالاته.

والمتأمل في تجارب جمال الغيطاني يجد أن أغلب تلك الدفقات كانت تعبيرًا عمَّا يختلج في صدره من هواجس ذاتية، وتصويرًا لما يختلج في عقله من مشاعر وهموم ذاتية.

وفي روايته "**هاتف المغيب**" نلحظ أن رحلة "أحمد بن عبدالله" من القاهرة، عبر الصحراء، مرورًا بالواحة، وصولًا إلى بلاد المغرب، كانت رحلة لاكتشاف الذات، رحلة غامضة استخدمها الغيطاني بوصفها معادلًا موضوعيًا؛ يرمز إلى عبوره لبحر الحياة، وتغلبه على الصعوبات والمشكلات التي كانت تعوق اكتمال تجاربه الذاتية، وتمنع فهمه لما يدور حوله من أحداث، رحلة عبر فيها من النقص إلى الاكتمال، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن ثم تحولت هذه الذات من ذات منغلقة على نفسها عقيمة لا تدري ما يدور حولها إلى ذات تتحرك في فضاء الحرية، تعرف الكثير عن مكامن الحياة، يقول على سبيل المثال:" **إن مشيهم كان ليلًا مع الكواكب والنجوم التى لم يرها من قبل في مثل هذه الكثافة، ينتظمون في قطار متتابع، أولهم الدليل لن ينساه إنه الحضرموتي،**

تقلب في البلاد وجاس خلال العالم، أتقن العلم بالنجوم والميقات، وعنه أخذ، لم ير مثله في كل مراحل سفره صوب موضع الشمس الغاربة، كان قادرًا على تحديد الاتجاه بالحس، إذا تطلع إلى السماء من أي موضع متحرك أو ثابت، يدرك الموقع حتى لو امتلأ الفضاء بالغيوم الثقال يعرف حركة الظلال في العمار المأهول والخلاء الخرب، وبالتالي تحديد الوقت بدقة، مواعيد الصلاة، اتجاه القبلة". (١) .

فعندما نطالع هذا النص الروائي؛ نجد أن الكاتب استخدم المعادل الموضوعي؛ ليرمز به إلى تجربته الذاتية، ويعبر من خلاله عن رحلة طويلة من رحلات الحياة، فكان أحمد بن عبدالله هو المعادل الموضوعي لذات الروائي، عبَّر من خلاله عمَّا يجيش في نفسه من أحداث وصراعات، تطلع فيها الكاتب إلى الاقتباس من العلم والمعرفة والأصالة والتراث، وظل هكذا حتى خبر أسرار الحياة المليئة بالكنوز والدرر لكنه يريد أن يكشف الستار عن هذا الدر المكنون في تراثنا الذي يمكن أن يغيب إذا تغافلنا عنه أو نسيناه، وهذا العمل الإبداعي بمثابة "الهاتف" الذي ينبهنا ويوجهنا نحو الكشف عن هذه الكنوز وإبرازها قبل أن تسقط في أعماق "المغيب"، فوفق في استخدامه لهذا المعادل الموضوعي، فقد استطاع من خلاله أن يعبر عن تجربة ذاتية محملة بالكثير من الشحنات العاطفية، التى توضح قيمة العلم ومكانته، وقيمة تراثنا الأصيل.

وفي روايته "الرفاعي" يصور القلق والاضطراب النفسي الذي سيطر على قلوبهم، جراء الاشتباكات المتتالية مع العدو، فيقول: "**يبدوا الصمت مضاعفًا، والليل بلا قاع، كأن خطوهم أوجد للصمت صوتًا، ما من شيء أجبره على إصدار الأمر بالتوقف، لكن طول السير، وصعوبة الطريق، يجب الأمر**

(١) رواية هاتف المغيب، ص٣٧.

بالتوقف... الليل لا يفصح عن محتواه، كل خطوة إلى جوفه مهددة بالمباغتة، يطوي الليل من المفاجأة بقدر ما يحققه له من غطاء، إنه يشير باستئناف السير، مع الرياح التى تمضي من الشمال إلى الجنوب تصل إليهم أصوات العدو، أما أصواتهم فتولي إلى الخلف، الحديث ممنوع تمامًا خلال المشي... "[١] .

فلجأ الكاتب إلى استخدام المعادل الموضوعي؛ ليرمز إلى حالته الوجدانية من القلق والخوف والترقب فيصور خوالج قلبه، وكوامن وجدانه في صورة إبداعية أخاذة، وتجربة فنية جذابة، عبَّر من خلالها عن آهاته القلبية، وغصاته الروحية خوفًا من غدر العدو، ويبين حالتهم النفسية التي تغشتهم في ظلمة وسواد الليل وهم يسيرون في اتجاه العدو، فعالم الكاتب الداخلي كان يسوده الظلام والخوف والرعب إلى جانب الصمود والتحدي، فالطريق طويل وصعب، والليل حالك السواد، لم يتوقعوا خطوة العدو، من الممكن أن يباغتهم دون سابق إنذار ويغدر بهم، فكان عليهم توخي الحذر، فعبر الكاتب عن مشاعره وهمومه الذاتية وقلقه واضطرابه وكوامن نفسه من خلال استخدامه للمعادل الموضوعي الرمزي، الذي استطاع من خلاله تفريغ شحناته العاطفية بصورة عميقة ومكثفة ومؤثرة.

وفي روايته "**وقائع حارة الزعفراني**" نجد أن الكاتب يعبر عن نزعة قوية سيطرت على نفسه وروحه ووجدانه، وهو الإحساس بالخوف والقلق والحزن العميق، الذي يخيم على قلبه وشعوره عندما يتطرق إلى ذهنه فكرة الموت وانتهاء الحياة، فحقيقة الموت تؤرق الكاتب في معظم رواياته فنجده يقول على لسان الزعيم النضالي أحد الشخصيات في الرواية: " **الرجل السياسي يقضي عمره كله في أوهام غريبة يلخصها أحيانًا في كسبه موقعًا، تتضمن حياتهم مئات**

(١) رواية "الرفاعي"، ص٤٠٥.

المعارك الضئيلة بالنسبة لشمول الهدف العام، ويظل الهدف نسبيًا... إنني لا أقصد إلغاء الصراع، أردت تقديم البرهان على أن الحياة سلسلة معارك، الصراع ضد الموت أخطرها، صحيح أن الموت ينتصر على الإنسان الفرد، لكن الإنسانية تقهره، غير أنني بعد الانتهاء من حروبي سأشن قتالًا لا هوادة فيه ضد الموت" (١) .

فالكاتب اتخذ من الموت معادلًا موضوعيًا؛ يرمز به إلى تجربة ذاتية قاسية سيطرت على نفسه، وأثرت فيه، فهاجس الخوف والقلق تملك قلبه، لدرجة أنه جعل الشخصية تعبر عن ذاته ونفسه وخوفه وقلقه، فسوف يشن قتالًا على الموت ولن يرحمه، فهو ينوي بعد انتهائه من حروبه القضاء علي الموت قبل أن يدركه، وهذا القلق أو الخوف الذي سيطر على نفسه جعله يدخل في صراع نفسي مع الموت، وربما القلق هذا والفزع والخوف الشديدين الذي تملك نفس الكاتب من فكرة الموت، أو من طريقة الموت والاحتضار نفسها، قد يؤثر على حياته، ويصاب بنوع من العزلة والخوف والاكتئاب حد الموت .

ونرى الكاتب يتخذ من مظاهر الطبيعة ملجأ لتجاربه الذاتية، وشحناته العاطفية، فيستخدم من "البحر" ستارًا فنيًا، ومعادلًا موضوعيًا؛ ليرمز من خلاله عمَّا يساوره من آلام وأحزان وصراعات نفسية، وظلام داخلي، فيقول في روايته"الزويل" على لسان "فتحي": "**في وقت قريب أقام ناس هنا، نادوا بعضهم بعضًا، تقلبوا أثناء النوم، حملوا، تواردت آلاف الزكريات .... إن مشي أمام البحر في أبي قير، لا أنوار على الطريق يبدوا سواد البحر مفزعًا، سدًا يبدو**

(١) رواية وقائع حارة الزعفراني، ص١٥٩.

لكنه غير محسوس ... ربما امتدت زراع مخلوق لا نعرفه واختطفتنا: تهوي بنا إلى القاع، البحر القريب يقلقه" (١) .

فاستطاع الكاتب إسقاط همومه وأحزانه وقلقه واضطرابه على البحر، فجعل حالته النفسية وقلقه مستمدًا من حالة البحر المظلم المضطرب، فالطريق المؤدي إلى البحر مظلم، والبحر يتشح بالسواد المفزع، فالكاتب يبث قلقه وهمومه الذاتية ونفسيته المضطربه داخل قاع البحر، البحر القريب الذي يتخذه الكاتب معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى حالته النفسية والقلق الذاتي الذي سيطر عليه.

" إن هذه العواطفَ الذاتية التي اختلجت في نفس الكاتب، والأفكارَ المتصارعة التي مخرَتْ عقله، وهزّت وجدانَهُ الإنسانيَّ الفلسفي، طفَتْ إشاراتُها على سطح النص، بعد أن تململتْ هواجسُها المكنونةُ في عمق النفس، لتتكشفَ مراياها ساطعةً من خلال المعادل الموضوعي الذي جزم "إليوت" على نعته بأنّه "الطريقةَ الوحيدة للتعبير عن العواطف بشكل فنيٍّ تكمن في إيجادِ معادل موضوعي لها"؛ وعليه فإن العاطفة هاهنا اُسْتثِيرتْ مباشرة، فورَ أن أُعطِيتْ هذه الحقائقَ الخارجية على حد قول "إليوت"، والتي جسّدتها الكينونة الإبداعية ."(٢).

ويقول أيضًا مستخدمًا مظاهر الطبيعة، معادلًا موضوعيًا يرمز به إلى حالته النفسية،" **ما الذي يزدحم به الليل في هذه النواحي؟؟ ليس هواء خالصًا، ولا نسمات كأن الصيف والشتاء لم يلامسا الصخور، الجبال، ينتصف النهار، يذوب العصر في المغيب، الأسى الغامض يغرق قلبي، يأكله**" (٣).

---

(١) رواية الزويل، ص١٤.

(٢) مجلة فكر الثقافية، مقال بعنوان: المعادل الموضوعي في نصّ أبي فراس الحموي، د. نبيل قصـــــاب باشي، تاريخ الزيارة ٢/ ١١/ ٢٠٢٣م.

(٣) رواية الزويل، ص٢٠.

فلجأ الغيطاني إلى استخدام مظاهر الطبيعة من الليل والهواء والشتاء والجبال وذوبان العصر في المغيب، بوصفها معادلًا موضوعيًا؛ لإسقاط مشاعره النفسية، وتوضيح تجربته الذاتية، ويصور من خلالها الألم والقلق والاضطراب، والأسى الغامض الذي يغرق فيه قلب الكاتب، فجميع مظاهر الطبيعة تتوشح بالغموض مثل غموض الحالة التى تسيطر على الكاتب جراء الأحداث التى تدور حوله، ولما كان الكاتبُ يعيش في مرحلة اضطراب سياسي، تصارعت فيها الأفكارُ، فقد تمخّض عن ذلك صراع داخلي في عاطفته، وقلق يموج به نفسه، فراح يعبر عن أعماق ذاته ورغباته المكبوتة فيها، يستشعر الأسى الغامض المجهول الذي يغرق فيها قلبه وعقله مسخدمًا المعادل الموضوعي الرمزي، وقد وفق الكاتب في استخدام هذا المعادل الموضوعي الرمزي، ليعبِّر به عن نفسيته وهمومه الذاتية .

وفي تجربة أخرى للكاتب يتجلى بوضوح المعادل الموضوعي للذات وهمومها، المعبر عن ذات الكاتب، والمصور لخوالج قلبه، ولواعج وجدانه، فيتخذ من" الشخصيات الدينية التراثية معادلًا موضوعيًا بكل ما تحمله من معطيات جمالية، وصور فنية؛ وقدرتها على إبراز ما في نفس الأديب، وتصوير لما في وجدانه من مواقف حياتية، ودفقات شعورية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن للتراث الديني مكانة عظيمة في الوجدان، ومن ثم استمد منه الكتاب نماذج وموضوعات وصورًا أدبية، التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، والتي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني" من أجل ذلك كان للقرآن الكريم والحديث الشريف والشخصيات التراثية مكانة كبيرة في نفوس الأدباء يستلهمون منها، ويتكئون على مضامينها، تلميحًا أو تصريحًا فكان التراث الديني خير مثال

يحتذى بـه للتعبير عن المعادل الموضوعي الرمزي لهموم الذات" [١]، وقد شكَّل المعادل الموضوعي الديني عند الغيطاني معين ثرّ يعبر من خلاله عن ملمح من ملامح التجربة الذاتية، فعندما تكاثرت أمامه الأزمات الاجتماعية، ومرارة الواقع، لم يجد أمامه إلا التجارب الدينية الصوفية يبث فيها آلامه وأحزانه ومشاعره، فجعل من تراثه الديني معادلًا موضوعيًا لأحاسيسة وتجاربه، فنراه يصور همومه الذاتية، يجعل شخصية الحسين تخفف من آلامه وأحزانه، ويبث إليه هموم نفسه وما يلاقيه من ألم وحزن، فيقول في "التجليات" مستدعيًا شخصية الحسين"رضي الله عنه": "**في الوسط تجلت لي رئيسة الديوان ملتحفة بوشاح من الندى الذي ينمو على حواف أوراق الزهر، إلى يسارها الحسين، إلى يسارها الحسن، بين أيديهم ما يشبه اللفائف الكبار، أخذني البهت، ثم الإشراق عندما رنت إلى رئيسة الديوان..**

ما وراءك يا جمال؟

قلت:

وجد محدود، ورغبة في وجود غير محدد..

قالت:

ما الذي دعاك إلى الخروج ؟

قلت؟

حيرتي، وألمي، ورغبتي في الولوج.

وهنا التفت إلى سيد الشهداء، صريع كربلاء، فانشرح صدري وتيسر أمري، وتهلل قلبي، وحشت نفسي عن الاندفاع إليه حشمة وتأدبًا ورهبة، قال لي: ماذا يؤرقك؟.

---

(١) المعادل الموضوعي في شعر د/ زهران جبر،ص٤٠٢٨.، بتصرف .

قلت: ما كان ما سيكون.

لم أتمالك نفسي، فقلت مندفعًا وما من حجاب بيننا.

كان أبي يحبك

لم يكسفني لاندفاعي.. أومأ

أعرف ذلك

كنت عبق حياتي الأول، عشت بجوار مرقد رأسك آمن أيامي

أومأ: أعرف ذلك

.....

قلت بحسرة

تلك أيام ولت بلا رجعة

قال: كل شيء وله أوان (١).

فاستخدم الكاتب شخصية **الحسن والحسين** "رضي الله عنهما" ليجعلهما معادلًا موضوعيًا، يلجأ إليه ويعبر لهما عن آهاته القلبية وأناته، وأن عالم الكاتب الداخلي كان يسوده الظلام، ويسيطر عليه صراع نفسي، واضطراب روحي، فتحول الحزن والألم والحيرة والضيق إلى انشراح في الصدر وتيسير في الأمر، فعندما حضرت شخصية الحسين ذهبت آهاته وأناته، ودبت السعادة والفرح في قلبه، لم يكتف بذلك بل أدار حوارًا بينه وبين الحسين وقص عليه حكايته وما كان يفعله مع والده، وعبّر له عن ارتباط والده به ثم يبين الكاتب من خلال هذا النص شدة تعلقه بأهل البيت " الحسن، والحسين" فيخيل إليه أنه قد رجع إلى زمانهما، يعيش بينهم، ويرى حالهم، ويستشعر ما في واقعهم من أمان واطمئنان وصدق واستقرار ويرى جهادهم وقوة عزيمتهم، وشدة بأسهم في مواجهة

(١) التجليات ص٣٧-٣٨ .

عـدوهم، وكيـف أنهـم أقـاموا دولـة قويـة علـى الأخـلاق الفاضـلة، والقـيم الراقيـة، والتعاليم السامية، وقد اتكأ الكاتب على خياله في تصوير عالمه الروحي؛ وذلك أن ثمة علاقة وطيدة بين الخيال والصورة، على اعتبار أن الصورة الفنية تجسد خيال الأديب، وتترجم كوامنه، وعالمة الشعوري إلى تشكيلات لغوية واضحة.

ثـم يسـتطرد فـي رسـم الصـورة للمعـادل الموضـوعي فيستحضـر شخصـية "**علي بن أبي طالب**"رضي الله عنه؛ ليبث إليه همومه، وينفث عن خلجات نفسه ويشكو إليه من أحوال عصره، فيقول عندما التفت الحسين إلى أخيه الحسن" **التفت إلى أخيه الأكبر، قلت: من أهلة طفولتي تبدو لي لوحة مطبوعة ملونة، بها الأخضر،والأصفر، والأحمر، يتوسطها والدكما عليه السلام، يلتحف بعباءة خضراء، بين يديه سيف في غمد...**" (١)

فالمعادل الموضوعي متمثل في بث هموم الغيطاني وأحزانه وآلامه، ثم يأتي الحسن والحسين ووالدهما علي بن أبي طالب –كرم الله وجه–؛ ليهرب إليهم الكاتب من عالمه الذاتي المضطرب المليء بالقلق والقهر والذل والهموم والظلم إلى عالم الطهارة والنقاء وما يحمله هذا العصر من نقاء أخلاقي، وجهاد نفسي وبدني، ورقي إنساني وحضاري .

هكـذا نجـد أن الغيطـاني استشـرف العديـد مـن العـوالم، وتقـرع كثيـرًا مـن الأشكال الأسلوبية، والأمثلة على المعادل الموضوعي الرمزي للذات وهمومها متعددة في الرواية؛ وجميعها تسير في أفق يتراوح بين الحلم والواقع، حيث تعتمد القيمة الروائية علي استدعاء رموز غائبة وحاضرة في نفس الوقت، تعبر عن مراد الكاتب في صورة أكثر عمقًا وتأثيرًا .

(١) التجليات ص٣٨ .

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله "سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعـــد:

فبعد هذه المعايشة "للمعادل الموضوعي " والغوص في أعماق روايات الغيطاني، للوقوف على خبايا الأحداث ودلالات الشخصيات، ورمزية الأمكنة والأزمنة، والبحث في أعماق الكاتب؛ لاستكشاف هموم الذات، قد كشفت هذه الدراسة عن عدة نتائج من أهمها :

- المعادل الموضوعي " هو مفهوم نقدي يشير إلى الأداة الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف وغيرها ، ويعد وسيلة قوية لفك شفرات النص الروائي.
- ظهر هذا المصطلح بالدلالة التي هو عليها الآن على يد الناقد الإنجليزي ت س إليوت، والذي رأى أن على الأديب اختيار معادل خارجي يتوافق مع عاطفته؛ هروًبا من تلك العاطفة إلى التعبير عنها بما يعادلها من العالم المشاهد، وكأن الكاتب بذلك يصور المعقول بالمحسوس، ويجسد المعنوي بالمادي.
- أسهم هذا المصطلح في إثراء حقل الدراسات الأدبية؛ لأنه يعتمد على تكثيف التجارب الأدبية عبر التلميح والإشارة.
- يلجأ الكاتب إلى المعادل الموضوعي؛ ليعمل على تخصيب فكرته، ويستطيع أن يمد طرفه إلى غيابات تجربته مما يعطيه القدرة على أن يعبر عن عاطفته بأسلوب رمزي يؤثر في المتلقي والسامع.
- وظف العديد من الأدباء على مر العصور المعادل الموضوعي في أعمالهم للتعبير عن قضايا سياسية أو اجتماعية أو إنسانية لا يستطيع الأديب التصريح بها إلا من خلال أقنعة الرمز.

- استخدم الكاتب المعادل الموضوعي للهروب من سيطرة أحاسيسه على النص أو قناعًا للتستر على الشخصية الحقيقية للمبدع، أو للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف والمشاعر.
- القيمة الرمزية للمعادل الموضوعي في روايات "جمال الغيطاني" جعلته في مصاف كتاب العصر الحديث في استخدام هذه الأداة الأدبية الفعالة.
- اتسمت روايات الغيطاني بالرمزية والتمويه في أغلب الأحيان؛ الأمر الذي جعلها مادة غنية للبحث والدراسة في ضوء ما استجد من نظريات حديثة .
- استطاع الكاتب من خلال استخدامه للمعادل الموضوعي الرمزي، تجسيد رؤيته، والتعبير عن همومه الذاتية والوطنية .
- اتخذ الغيطاني من زمن المماليك معادلًا موضوعيًا، يتخذ منه قناعًا رمزيًا لإدانة الحاضر السياسي.
- استخدام الغيطاني المعادل الموضوعي الرمزي في شخصيات رواياته؛ لم يكن مجرد رصد لأحداث معينة، ولكنه جاء بوصفه تعبيرًا رمزيًا عن أحداث الواقع الاجتماعي والسياسي طبقًا للواقع المعاش.
- المعادل الموضوعي الزمنى عند الغيطاني لا يعني الزمن المجرد الخالص ..زمان الساعة.. بقدر ما يعني الزمن الذي يشعر به، وتصويراً لمشاعره الذاتية .
- اعتمدت القيمة الروائية عند الغيطاني علي استدعاء رموز غائبة وحاضرة في نفس الوقت، تعبر عن مراد الكاتب في صورة أكثر عمقًا وتأثيرًا .

** **أهم التوصيات :**

** يعد المعادل الموضوعي من الموضوعات المتعطشة للدراسة في الشعر العربي بصفة عامة، والروائي والقصصي بصفة خاصة فأدعو الباحثين والباحثات إلي الإقبال علي هذه الظواهر النقدية الحديثة بالدراسات الوافية، لما لها من دلالات نفسية واجتماعية علي الأديب .

** نلمس هذه الظاهرة واضحة جلية في أعمال شوقي الشعرية بصفة عامة، والقصة على لسان الحيوان بصفة خاصة.

وأخيرًا:

هذا عمل متواضع لست أدعي فيه كمالًا أو عصمة من الزلل، فهو عمل بشري لا يخلو من التقصير أو الهنات، أضعه بين يدي القارئ الكريم؛ لأبين فيه عن ظاهرة نقدية حديثة لجأ إليها الكتاب للتعبير عن مشاعرهم وتجاربهم الاجتماعية، والتاريخية، والسياسية، مستخدمين أسلوب الإيماءات والإشارات، حتى يستطيعوا البوح بأسرار نفوسهم، دون التعرض للمساءلة.

ويشهد الله أن عملي هذا لم يكن هينًا أو مريحًا، فكم واجهت من صعوبات ومشاق في إنجازه على هذه الصورة ، وأرجو أن أكون قد وفيته حقه من الدراسة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس الفنية

ثبت المصادر والمراجع

***أولًا: ثبت المصادر:**

- رواية "أحراش المدينة"، جمال الغيطاني، ١٩٦٢م بدون طبعة.
- رواية "التجليات الأسفار الثلاثة"، جمال الغيطاني، دار الشروق ١٩٩٠م
- رواية "الرفاعي"،جمال الغيطاني، دار الشروق بدون تاريخ.
- رواية "الزويل"، جمال الغيطاني، مكتبة مدبولى بدون تاريخ.
- رواية "الزيني بركات"، جمال الغيطاني، دار الشروق، القاهرة، مصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.
- رواية "المصرين والحرب من صدمة يونيو إلى يقظة أكتوبر"، جمال الغيطاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١٦م.
- رواية "أوراق شاب عاش أكثر من ألف عام" ، تأليف جمال الغيطاني، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة ١٩٩٨م.
- رواية "حكايات الخبيئة"، جمال الغيطاني، دار الشروق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- رواية "شطح المدينة" جمال الغيطاني، دار الشروق، ١٤١٢هـ_ ١٩٩٢م .
- رواية "متون الأهرام" ، جمال الغيطاني، دار الشروق، الطبعة الأولي ١٩٩٩م.
- رواية "هاتف المغيب" جمال الغيطاني، دار الشروق بدون تاريخ .
- رواية "وقائع حارة الزعفراني"، جمال الغيطاني، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية ١٩٨٥.

**** ثانيًا: ثبت المراجع:**

- بناء الأسلوب في شعر بدوى الجبل، الدكتور/ عصام شرتح، دار آمنه للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٩م

- الصورة بين الشعر والتشكيل في فن التصوير (حوار الشكل والمضمون)، د/إيناس ضاحى أحمد، بدون طبعة ٢٠١٦م،.
- فن كتابة المسرحية، رشاد رشدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م،.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- المسند الجامع، حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل، الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
- المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي، بقلم كاظم الظواهري، دار الهداية، الطبعة الأولى.١٤٣١هـ،٢٠٢١م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، د/مجدي وهبه، د/كامل المهندس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

**** ثالثًا: الرسائل والدوريات:**

- بنية الزمن الروائي عند جمال الغيطاني (هاتف المغيب)، أنموذجًا، د/ إيمان فتحى زكريا، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد الخامس والعشرون، الجزء الثانى، أكتوبر ٢٠١٧م .
- توظيف التراث العربي فى نماذج من روايات جمال الغيطاني، للباحثة، هنية بن موسى، جامعة الشهيد، الجزائـــر.
- المعادل الموضوعي في شعر د/ زهران جبر، دراسة نقدية تحليلية، إعداد الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، المجلد التاسع والثلاثون، إصدار ديسمبر ٢٠٢٠م.
- المعادل الموضوعي في شعرنا العربي بين الإبداع والتقليد، د/ حمدي فاروق صالح، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، العدد السادس والعشرون، ٢٠٢١م.

- المعادل الموضوعي في مدائح أبي تمام الطائي/ فوزية علي زوباري،مجلة مجمع اللغة العربية –دمشق، مجلد ٨٧، الجزء الثاني، سنة ٢٠١٢م .
- المعادل الموضوعي والنقد الجديد من منظور رشاد رشدي، رسالة دكتوراه، إعداد زروقي هوارى، سعادي بن ذهبيه، جامعة عبدالحميد بن باديس مستغانم.

رابعًا: المواقع الإلكترونية

- الأديب المصري جمال الغيطاني، المجلس الأعلى للثقافة، تاريخ الزيارة ٢٠ /١٠/٢٠٢٣م، عبر الرابط التالي: http://scc.gov.eg/prhttps:/ /
  - جدلية التناص، مقابلة مع جمال الغيطاني، مجلة عيون، العدد الثاني أبريل ١٩٨٦م، تاريخ الزيارة ٣١/ ١٠/٢٠٢٣م. https://archive.alsharekh.org/
- جمال الغيطاني (روائي مصري)، ميريه جراح، تم التدقيق بواسطة: وائل عبد الغني، تم النشر بتاريخ ٢٤ / أغسطس ٢٠٢٣م، (https://mawdoo3.com/%D8%AC% ، تاريخ الزيارة ٢٠/١٠ /٢٠٢٣م .
- دلالات الزمن النفسي في رواية اللاز للطاهر وطار، منيرة شرقي، مجلة المدونة، جامعة تبسة، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/8787 ، تاريخ الزيارة ٢٠/ ١٠/ ٢٠٢٣م ص١٢٠ .
- رحيل الأديب المصري جمال الغيطاني، ١٨ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٥، تاريخ الزيارة ٢٢/٢٠٢٣م، عبر الرابط التالي: **https://www.bbc.com/arabic** ،
- الزمن في الرواية العربية، د. مها حسن القصراوي، التاريخ ٢٥ يوليو ٢٠٠٥م، تاريخ الزيارة ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢٣م، عبر الرابط التالي: https://www.albayan.ae .
- الشخصية الرمزية في شعر أديب كمال الدين دراسة في ديوان " الحرف والغراب، سمير عبد الرحيم أغا، موقع الحوار المتمدن–العدد: ٤٤٢٣ – ١٣ /٤ /٢٠١٤م تاريخ الزيارة ٢٠ /١٠/ ٢٠٢٣م ، https://www.ahewar.org/debat/s .

- صحيفة اليوم، مقال بعنوان" المعادل الموضوعى، تم النشر بتاريخ ٢٠١٩/٨/١٨م، عبـر الـرابط التـالي: "https://www.alyaum.com/articles/6206513 ، تمت الزيارة بتاريخ ١٢ /١٠ /٢٠٢٣م .
- الغيطـاني وجدليـة المجرد والمحسوس فـي –متون الأهرام– الحوار المتمدن–العدد: ٤١٧٦ –٨/ ٢٠١٣/٦– تـــــــــاريخ الزيـــــــــارة ٢٥ / ١٠/ ٢٠٢٣م، https://www.ahewar.org/debat.
- مجلـة الخليج، مقـال بعنـوان: «شـطح المدينـة»...حيـاة الزاهد،علاء الـدين محمـود، نشـــر بتـــاريخ ٤/١٩/ ٢٠٢١م، تـــاريخ الزيـــارة ٢٠٢٣/١١/٢م عبـــر الـــرابط التالي:https://www.alkhaleej.ae
- مجلة فكر الثقافية، مقال بعنوان: المعادل الموضوعي في نصّ أبي فراس الحموي، د. نبيـل قصـاب باشـي، نشـر بتـاريخ ٢/١/ ٢٠٢٣م، تـاريخ الزيـارة ٢٠٢٣/١١/٢م عبر الرابط التالي: https://www.fikrmag.com/ .
- مقـال بعنـوان: جغرافيـا الـوهم وتـاريخ المكـان قـراءة فـي روايـة هـاتف المغيـب لجمـال الغيطـاني، بقلـم/ شـاكر عبدالحميـد: أسـتاذ علـم الـنفس بجامعـة القـاهرة. مجلـة نزوي،العـــدد (٢) https://www.nizwa.com تمـــت الزيـــارة بتـــاريخ ٦/ ٢٠٢٣/١١م.
- مقـال بعنوان:جمـال الغيطـاني، موقـع المعرفـة، https://www.marefa.org/، تمت الزيارة بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/٢٠م.
- مقـال بعنـوان: روايـة «وقـائع حـارة الزعفرانـي»– هـذا زمـن الفـرار !جمـال الغيطـاني، يوســف الســيد الــديب، نشــر بتــاريخ ٢٧ / ١٠/ ٢٠٢١م، تــاريخ الزيــارة ٥ /٢٠٢٣/١١م، عبـر الـرابط التـالي: **https://www.ida2at.com/the-zafarani-files-novel-review/**.
- مقـال بعنـون: الرمـز، مـن المعـادل الموضـوعي إلـى الـذاتي، تـاريخ الزيـارة ١٨ /١٠ /٢٠٢٣م ،عبـــــــــــر الـــــــــــرابط التـــــــــــالي : **https://www.geiroon.net/2018/05/04/%**

فهرس محتويات البحث

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٢٢٩
التمهيد : "التعريف بالكاتب والظاهرة"	٢٣٥
المحورالأول : « أضواء على حياة الغيطاني وأدبه»	٢٣٦
المحور الثاني « نبذه عن المعادل الموضوعي »	٢٤٠
المبحث الأول: «المعادل الموضوعي للأحداث»	٢٥١
المبحث الثاني: « المعادل الموضوعي للشخصيات »	٢٦٦
المبحث الثالث: « المعادل الموضوعي للزمان »	٢٨١
المبحث الرابع: « المعادل الموضوعي للمكان »	٢٩٣
المبحث الخامس : « المعادل الموضوعي للذات وهمومها »	٣٠٨
الخاتمة	٣١٨
فهرس المصادر والمراجع	٣٢٢
فهرس محتويات البحث	٣٢٦